الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماستر –تخصص فلسفة عامة

تحت عنوان

ملامح النقد في مشروع محمد أركون الفكري

من إعداد الطالبة:

عبدوني كحلة

بـــإشـــراف :

د/ سماحي بوحجرة

السنة الجامعية: 2021/2020

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماستر –تخصص فلسفة عامة

تحت عنوان

ملامح النقد في مشروع محمد أركون الفكري

من إعداد الطالبة:

عبدوني كحلة

بـــإشـــراف :

د/ سماحي بوحجرة

السنة الجامعية: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

اهدي اول اعمالي وثمرة جهدي إلى

الروح التي سهرت على راحتي واعانتني بالدعاء والصبر على شدائدي امي الحبيبة "مليكة"

الى الروح التي لا تعرف معنى الكليلة والملل في توفير حاجيات واسعاد قلبي ابي الغالي "احمد"

إلى زهور حياتي إخوتي الثلاث: *أسماء *عائشة *الكحل

الى استاذي الكريم *سماحي بوحجرة"

إلى روح *محمد أركون*

كلمة شكر

ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأخلني برحمتك في عبادك الصالحين.
صدق الله العظيم

الحمد لله الذي انار لي درب المعرفة واعانني على اداء هذا الواجب ووفقني في انجاز هذا العمل فله كل الحمد والشكر على فضله العظيم وعطائه الكريم الذي يرزق عباده بغير حساب

اما الآن ساقف على منبر الشكر والتقدير لأعبر عن احرم عن الشكر الجزيل والعرفان الخالصة الى استاذ الفاضل الدكتور سماحي بوحجرة

على نصائحه وتوجيهاته العلمية والمنهجية ومعاملاته الطيبة

كما لا يفوتني ان اتوجه بالشكر الى جميع أساتذة شعبة الفلسفة و الى صديقتي اللتان كانتا سندا قويا وعونا كبيرا الأستاذتين عمارة غنية ودرقاوي وهيبة

خطـــــة البحـــث:

- مقـــــــــدمـــــــة
- الفـــصـــــل الأول: مصادر وجذور فكر أركون

المبحث الأول: السيـــرة الذاتيـــة

المبحث الثاني: أركون بين الاستشراق ومنهجية علوم الإنسان والمجتمع

- الفـــصـــــل الثـــــــاني: معالـــــم مشروع أركـــون الفكـــــري

المبحث الأول: الإسلاميـــــات المطبقـــــــة

المبحث الثاني: المقاربات المنهجيـــة عنـــد أركون

- الفصـــــــل الثـــــالث: أركون والتـــراث

المبحث الأول: مـــا هو التـــراث

المبحث الثاني: الحداثـــة والتحديث

المبحث الثالث: علمنة الفكـــــر والمجتمع في فكـــر أركون

- الخـــــــــاتمـــــــــــة

المقدمة

الفكر العربي الحديث و المعاصر فكر نهضوي فكر يتمركز حول هاجس أو إشكالية كيف النهوض و قد سيطرت هذه الإشكالية من الجيل الأول، الطهطاوي، محمد عبدو، الأفغاني واستمرت في الفكر العربي المعاصر بصيغ و كيفيات اخرى املتها التغيرات العميقة التي عرفها العالم العربي و الاسلامي و عرفها العالم و من بين تلك التغيرات نركز على التغيير المعرفي و المتمثل في تقدم علوم الانسان و المجتمع و قد نهل الكثير من مفكرينا من هذا المبتهل و حاولوا توظيف مناهج و مفاهيم هذه العلوم في إقامة مشاريع فكرية على غرار الجابري، حسن حنفي، حسين مروة، طيب تيزيني، العروي، نصر حامد ابو زيد و لعل أهم المفكرين المعاصرين الذين تكونوا في الغرب وامتلكوا أدواتهم المعرفية وحاولوا استخدامها لإقامة مشروع فكري نهضوي يقوم على النقد محمد أركون الذي يعرف مشروعه بالإسلاميات المطبقة وهو المشروع الذي يصرح فيه برؤية نقدية وتحديثية للتراث مستخدما المفاهيم والمناهج المعاصرة في علوم الانسان والمجتمع.

وقد يتمخضى هذا النقد عن مشروع متكامل وقد حاولنا في هذه الدراسة عرض المفاهيم الرئيسية لهذا المشروع مركزين على جانب النقد فيه ويكمن التساؤل المركزي لهذه الدراسة في: ماهي الملامح النقدية في مشروع محمد اركون الفكري؟.

إن هذا السؤال المركزي يتجزأ الى اسئلة فرعية مكملة اهمها :

1- ماهي الجذور الفكرية لمشروع اركون الفكري؟.
2- كيف يقيم اركون التراث و الحداثة ؟

و من أجل الإجابة عن هذه التساؤلات قد وضعنا هذه الدراسة وفق الخطة التالية :

- مقدمة
- المدخل المنهجي: المنهج والمفاهيم
- الفصل الأول: مصادر و جذور فكر محمد اركون
- المبحث الأول: السيرة الذاتية
- المبحث الثاني: اركون بين الاستشراق و مناهج علوم الانسان و المجتمع

- الفصل الثاني: معالم مشروع محمد اركون
- المبحث الأول: الاسلاميات المطبقة
- المبحث الثاني: المقاربات المنهجية عند محمد اركون
- الفصل الثالث: اركون و التراث
- المبحث الأول: ما هو التراث ؟
- المبحث الثاني: الحداثة والتحديث
- المبحث الثالث: علمنة الفكر والمجتمع في فكر محمد أركون

لقد واجهتني بعض الصعوبات في انجاز هذا العمل والمتمثلة في :

1- الجائحة التي أصابت العالم بأسره حيث أصبحت مسألة القيام بجمع المعلومات أمر مستعصي.

2- ثراء الفكر الأركوني بمفاهيم عديدة حيث وجدت صعوبة في إدراك محتواها، ومع ذلك اعتقد انني قد خففت من الحد الأدنى المطلوب للولوج الى فكر اركون و فهمه.

المدخل المنهجي

المدخل المنهجي :

إن دراستنا و نظرا لطبيعتها وكذا الظروف التي أنجزت فيها عبارة عن وصف وعرض تاريخي لمشروع أركون لذا حاولنا المزاوجة بين آلية الوصف تارة و آلية التحليل تارة أخرى محاولين ربط فكر أركون بسياقه التاريخي السوسيولوجي والمعرفي.

المفاهيم الدراسية

لعل من أهم الحقائق التي وقفنا عليها و نحن نقرأ مشروع أركون الفكري هو الاستخدام المكثف للمفاهيم الإجرائية التي انبثقت من الثورة العلمية في علوم الإنسان المجتمع، الفلسفة الانتروبولوجيا التاريخ علم النفس اللسانيات

و لا نستطيع فهم هذا المشروع الا من خلال مفاتحه المفاهيمية لذلك نتقدم في هذه السائحة اهم تلك المفاهيم التي استخدمها اركون و التي عبر عنها بكثافة في مشروعه وهي:

1/ الإسلاميات الكلاسيكية : يصطلح أركون على الاستشراق بالإسلاميات التقليدية يصفها بمنهج فقه اللغة أو اللسانيات الأرتوذوكسية ويعرفها عموما بأنها خطاب غربي حول الاسلام او بالأحرى خطاب من الوضع غربي يهدف الى تطبيق العقلانية في الاسلام[1].

2/ الإسلاميات التطبيقية : مفهوم جاء بها اركان من أجل قراءة التراث الاسلامي قراءه نقدية حيث عبر عنها في قوله انها "ممارسة علمية متعددة الاختصاصات يختلف عن الاسلاميات الكلاسيكية باعتبارها خطابا غربيا باردا حول الاسلام يحشر اهتماماته من خلال كتابات الفقهاء ونقلها الى اللغات الاوروبية الحديثة دون أن يحللها[2]".

3/ نزعة الأسنة : **لغة :** مصطلح النزعة الانسانية، الأسنة ، الانسانوية ... تأتي في اللغة العربية ترجمة للمصطلح الفرنسي humanisme والذي يشتق من اللغة اللاتينية وتحديدا من كلمة humanistes والتي تعني في اللاتينية " تعاهد الانسان لنفسه بالعلوم الليبرالية التي بها يكون جلاء حقيقة كإنسان متميز عن سائر الحيوانات[3].

[1] انظر : كيحل مصطفى ، الانسنة والتأويل في فكر محمد اركون ، بإشراف اسماعيل زروخي ، جامعة منتوري قسنطينة - السنة 2007-2008 ص 333

[2] انظر : محمد اركون -تاريخية الفكر العربي الاسلامي - تر : هاشم صالح -مركز الانماء القومي -بيروت د(ط) 1990ص 08

[3] انظر : كيحل مصطفي - الانسنة والتأويل في فكر محمد اركون - مرجع سابق - ص 55

فان كلمة humanistas اللاتينية تماثل من حيث المعنى او تطابق كلمه ادب بالمعنى الكلاسيكي للكلمة وليس بالمعنى الضيق المحدث فهذه الكلمة تعني ما يلي (وجود ثقافة كاملة او متكاملة لا يعتز بها النقل أي تلم بكل شيء، إنها ثقافة تحتوي على كل المعارف والعلوم وتتجسد في شخصيات تتميز بالأناقة المرهفة .. عن طريق تنمية الإمكانيات الجسدية والمعنوية والثقافية للفرد ومساعدته على الازدهار[1]

4/ الأرثودوكس larthodox : إن الجذر اللغوي لكلمة الارثودوكسية نجده في اللغة اليونانية حيث يتكون من orthos ويعني droit أي المستقيم و doxa وتعني الرأي opinion الرسم المستقيم opiniondroit [2] أما بالمعنى الاصطلاحي الأرثودوكسية فهي" مجموع القضايا والمقترحات التي تؤخذ حقائق مرجعيه للتمييز بين الآراء الصحيحة والمطابقة والآراء المنحرفة[3]".

5/الدوغمائية : مفردات يستعملها محمد اركون وهي يعني بها المؤمن المسجون داخل العقائد الايمانية التي يعتبرها مطلقه وكل ما عداها خطأ ظلال فوحدة الصحيحة والبقية ضلال[4].

6/ **السياج الدوغمائي المغلق** : ومن اخترع اركون وهو يعني انا المؤمن المسيحي مثلا مسجون داخل العقائد الايمانية التي يعتبرها مطلقه وكل ما عدا خطا وظلال مرضاته من المؤمن اليهودي او الاسلام وحده الصحيح و البقية ظلال في ظلال[5].

7/ العلمنة : ويقصد بها اركان انها مجرد تفريق بين الشؤون الدينية والشؤون الزمنية (السياسية) في قوله أن تفريقها كهذا موجود عمليا في كل المجتمعات عندما ينكر وجوده ويحجب بواسطة المفردات الدينية[6].

---

[1] انظر : محمد اركون -نزعة الأنسنة في الفكر العربي - تر ؛ هاشم صالح -دار الشاقي بيروت -لبنان .ط(1) 1997 ص 608.

[2] انظر : كبحل مصطفى ، الأنسنة والتأويل في فكر محمد اركون ؛ بإشراف اسماعيل زروخي -جامعة منتوري قسنطينية -السنة 2007 -2008 ص 107.

[3] انظر: كيحل مصطفى الانسنة والتأويل في فكر محمد اركون - بإشراف اسماعيل زروخي - جامعة منتوري قسنطينة -السنة 2007 -2008 ص 107

[4] انظر : هاشم صالح- ضمن محمد اركون - قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الاسلام اليوم) تر ؛ هاشم صالح ، دار الطليعة بيروت -ط (2) -2000- ص 50

[5] انظر : هاشم صالح، ضمن محمد اركون قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الاسلام اليوم) تر : هاشم صالح دار الطليعة بيروت ط(2) 2000-ص 49.

[6] انظر: محمد اركون، الفكر الاسلامي قراءة علمية ، تر : هاشم صالح -مركز الاخماء القومي -ط (2) -1996-ص108

8/ **المستحيل التفكير فيه**: وهو وما يمنع التفكير فيه منعا باتا في لحظه التاريخ وقد تجيء لحظة يصبح التفكير أمر منك هل يستغرب الناس وكيف انه كان محرما على التفكير في ما مضى[1].

[1] انظر : محمد اركون - قضايا نقد العقل الديني (كيف نفهم الاسلام) تر: هاشم صالح دار الطليعة بيروت ـط (2) -2000 ص 81

الفصـــــــــل الأول

مصـــاد ر وجـــذ ورفكـــر أركون

مـــــدخل إلـــــى الفصـــــــــل الأول:

_إن مطلع هذا الفصـل يروي أهم محطات حيـاة "محمـد أركون "باعتباره شخصية جد هـامة قـد سعت وإجتهدت من أجـل مـراعـاة التـراث الإسلامي،ورفع غطـــاء الاحتقار والاستصغار الذي التمس العقـل العربي بأنـه عاجز عـن قـراءة تـراثه وإرجـاع الفضـل في ذلك إلى العقـل الغـربي ،أمـا الشطـر الثـاني مـن الفصل فقـد كـان بوسعنـا رصـد الاحتكاك الثقوي والمقـابلات الهـامة التي أجـراهـا محمـد أركون مع المستشرقيـن ومع مناهج علـوم الإنسـان والمجتمع ،ومن خلال قـراءتنـا لهذا الفصـل المعنون بـ: مصـادر وجذور فكـر أركون قـد تنـدرج في أذهـاننا حقيقة سـامية وهـي :أن محمـد أركون شخصية فكرية ثـرية قـد أسـدت ستارهـا على مختـلف الأوساط الفكرية والعلميـة متجاوزة بذلك كـل الحدود والعوائـق.

الفصـــــــــــل الأول: مصـــــادر وجـــذور فكـــر أركون

المبحث الأول: السيــرة الذاتيـــــة

ولـــد محمـــد أركـــون سنـــــــة 1928م بقـــريـــة تـــوريت ميمـــــون وهي قـــرية معلقـــــــة على سفـــح جبـــل جـرجـــرة فـــي منطقـــة القبـــائل الكبـــرى بالـــجزائـــــر، وهو ابن أســـرة متواضعـــة بسيـــطة تقـــطن فـــي أسفـــــــــل القـــرية.

قضى أركون طفولتـــه ومراهقتـــه في هـــذه القـــرية ،وحينهـــا بدأ يتعلـــم اللغـــة الفـــرنسيـــة وعمـــره سبع سنوات وهـــو في المدرسة الابتدائية، إضافة إلى ذلك أنـــه لا يتقـــن إلا اللغـــة الفـــرنسية واللغـــة الأمـــازيغيـــــــة ،أمـــا اللغـــة العربيـــة فلم يتلقى تعلـــمـــها إلا بعـــد خروجـــه من منطقـــة القبائل الكبرى بمدينـــة وهـران ليواصل تعلمـــه بالمدرسة الثانوية .

إن أركون قـــد شهـــد تحول كبير فـــي حياتـــه وهذا يؤثـــر على شخصيتـــــــــه وعلى أسلوب ونمط فكره ،لأنـــــــه ترعرع في وسط بربـــري وقـــد تشبـــع بثقافتـــــه وتقاليـــــده ،ولكنـــــــه في يـــوم من الأيام يجـد نفســه بيـــن أحضـــــــان مجتمع عـــربي قـــد تلقـــى ثقافتـــه ومعـــالمه ،ومع مـــرور الوقت أصبح متكيفـــا معهـــا وخيـــر مثال علـى ذلك تعلمـــه اللغـــة العربية .

يقـــــــول أركون "عندمـا خرجت من المنطقـــة القبائليـة وألتحق بالمدرسـة الثانوية في وهـــران بدأت تجربة المثاقفـة المزدوجـة والمواجهـــة الثقـــافيـــة ،كـــــان علي مـــن جهـة أن أتعلم العـــربية وأكتشـف المجتمع الناطق بالعـــربيـــة وليس البـــربـــرية ومن جهـــة ثانية كـــان علي أن أكتشف المجتمع الفـــرنسي المستعمـــر "[1] إذا إن الصعوبات والمواقف المصيرية التي مر بها لأركون جعل فكره ينادي بالانفتاح وتقلا الاخر رافضا لشتى أنواع التهميش والاحتقار بعـــدمـا أنهـــى أركون دراستـــه الثـــانوية بوهـــران التحق بجامعـــة الجـــزائر لتكملـــة مشواره الـــدراسي ،بحيث تحصل علـى شهادة الليسانس في تخصص "اللغـــة والأدب العربي "سنـــة 1952م.كمـــــــا تحصل كذلك علـــى شهـــادة "الدراسات العليـا حول الجانب الإصلاحي في أعمـــــــال

[1] رون هالبير،العقل الإسلامي أمام عصر الأنوار في الغرب ،الجهود الفكرية لمحمد أركون ،ترجمة جمال تشحيد ،الأهالي للطباعة والنشـــر ،دمشق،سوريا،ط1 عـــــــام 2001 ،ص 16.

طه حسين "وكانت هذه النقطة البداية الأولى لاتصاله بالفكر العربي الحديث .

كانت هذه أهم محطات حياته التي تعبر عن أبجديات نشأته، أما الآن سننتقل إلى كتابات أركون ومنتجات الفكرية التي تتصف بطابع مغاير فهي عبارة عن كتب غنية بجملة من الأبحاث شاملة لمختلف الإشكاليات خاصة في الفلسفة، التاريخ السياسة، علم الفقه.....الخ" كما أنها تأخذ شكل الكتب الجماعية كما في كتاب "الإسلام "، و"الأخلاق والسياسة" الصادر عن منظمة.

اليونيسكو سنة 1986م ،أو كتابه "من منهانتن إلى بغداد فيما وراء الخير والشر"، بالاشتراك مع جوزيف مايلا، أو تأخذ شكل كتب حوارية ،أي أسئلة تطرح على أركون وهو يجيب ،كما في كتابه "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد"[1].

وبالتالي إن مؤلفات أركون عبارة عن جملة من الأبحاث والدراسات تتناول إشكالية محورية كبرى، ألا وهي إشكالية دراسة الفكر الإسلامي دراسة حديثة .لكل مفكر مصدر ومنبع يسهم في انطلاق رحلته الفكرية والعلمية عبر دراسات معمقة وبحوث مطولة أما أركون فجذوره ومصادر تشكل فكره قد استمدت من ظاهرة الاستشراق على العديد من روادها وأهمهم "ريجيس بلاشير" المختص في فقه اللغة ،بحيث اعتمد عليه أركون في دراسته للقرآن الكريم ،وكذا المستشرق "مونتغري واط*" الذي اهتم بالفترة التأسيسية للإسلام المدونة في كتابه "محمد في مكة" أو "محمد في المدينة «إضافة إلى المصادر الاستشرافية قد كان للمصادر التاريخية دور ودخل في ذلك ،والبداية مع مدرسة "الحوليات" في فرنسا التي أعطت للتاريخ وكتابته مفهوم جديد بعدما تأسست على يد كل من :"فرنان بروديل*" "لوسيان فيقر*"جورج دوبي*".

بعدما ناقش أركون أطروحته للدكتوراه عن "مسكويه والأنسنة العربية "في جامعة السوربون الفرنسية،قد أصبح يملك الإمكانية والرغبة في فتح أفاق البحث

[1] مصطفى كيحل ،الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ،إسماعيل زروخي ،جامعة منتوري سنة 2007_2008 ص5.

* مونتغري واط (14 مارس 1909 - 24 أكتوبر 2006) هو مستشرق بريطاني عمل أستاذا للغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي بجامعة إدنبرة في إدنبرة-اسكتلندا.

* فرنان بروديل (1985/1902) : مؤرخ فرنسي ومن مؤسسي مدرسة الحوليات الحديثة.

*لوسيان فيغر(1956/1878) : مؤرخ فرنسي عرف بمشاركة بتعميم الموسوعة الفرنسية رفقة أناتول دي مونتري

*جورج دوبي (1996/1919) : عضو أكاديمية الفرنسية والمؤرخ الأكثر إنتاجا وتأثرا في العصور الوسطى .

في حقـــــل الدراسات الإسلامية التي لم تكن حاضرة في دائـــرة البحوث العربية الإسلامية ،إلا أنـــه

تطلع عليهـا واكتشفها من خلال أعمال المستشرقين التي جعل منها المبدأ والمعيار الأول في تشكل فكره،صحيح أنه اتصل بهؤلاء ،فهناك من تتلمذ على أيديهم وآخرون زاملهم في الجامعة وتبادلت الآراء ووجهات النظـر بينهم إلا أنه سلك طريقا مغايرا لنفسه حول النظر والدراسات على خلاف المستشرقين من إشكاليات وأدوات القراءة وأسس من خلالها مدرسة جديدة في الميدان العلمي وأطلق عليها اسم "الإسلاميات"

لقـــــد بلغت علاقة الثقافة العربية بالفكر الغربي مع محمد أركون ذروتها :"قد يكون الرجل الأكثـــر من اتصل من المفكرين العرب والمسلمين بتيارات الفكر الغربي الحديثـة والمعاصرة ،وانتهل من مصـادرها ونصوصها الكبرى واستضاف مفاهيمها في دراستـه وطبق مناهجها التي إستعارها من علوم التاريخ والأنتروبولوجيا .....الخ. قـــــد يكون أكثر من واكب بالقراءة ودرس موجات الحداثة وما بعد الحداثـــــة في الغـرب واستوعب إشكاليتها وموضوعاتها النظرية وعرف القراء ببعض فتوحاتها المعرفـــية . فعل ذلك من دون أن يفرض على علاقته بالفكر الغربي قيودا إيديولوجية كابحـــة."[1]

إن أركون يقـر بأن المعرفـة والتواصل الفكري والثقافي حلقتان متصلتان لا تفكهمـا أي قيود وأغلال، بل الانفتاح سيد المواقف والكابح لظلمات الانغلاق.

ظل أركون طوال مشواره الفكري والمعرفي يبني انتقادات للباحثين الغربيين من خلال تحليل أفكارهم وتفكيك تطوراتهم ونقـد مناهجهم ،وكان على الوسط الفكري الغـربي الـرد عليه بالقسوة والتجاهل إلا أنه دافع عن نفسـه وجعـل من لغـة العلم والمعرفـة الرد المناسب لهؤلاء.

"ولـعل سيـرته في نقـد المستشرقين وخطاباتهم تشهـد له بمناقبية علمية عاليـــــة المكانـة في الأوساط الفكرية التي عاش فيها في فـرنسا خاصة، وهو بذلك قـدم المثال الأعلى لمعنى المفكر والباحث ولمعنى الأخلاق العلميـة"[2]

توفي محمـد أركون بتـاريخ 14 سبتمبـر 2010 تاركا وراءه فراغا كبيرا في أوساط الساحة الثقافية الفكرية إلا أن منتجاته الفكريـة المعرفية تجعـل من اسمه حيا حاضـــرا في كل مشـروع فكري.

[1] عبد الإله بلقزيز ،محمد أركون المفكر والباحث والإنسان، مركز الدراسات الوحدة العربية ،بيروت ط(1)،عام 2011 ص 14
[2] عبـــــد الإلـه بلقـزير ،محمـد أركون المفكـر والباحث والإنســـان ص14

لقـــد كانت لمساهمته العلميــة والنقـدية تطورا قــويا في تاريخ الفكـر العـربي المعاصر "هو مواطن فـرنسي حائز على وسام رفيع من الجمهورية الفـرنسية ،وأستاذ محاضـــر في أكثــر من جامعة في العالم ،وهو متمدرس في الإنجليزية، إنه بتـركيبته الخاصـــة كائن منفتح لا تعني له الحدود كثيرا ،فهو يقيم خارجها في معظـم الأحيـــان "[1]

ومن هنا يمكن القـول أن محمـد أركون موسوعة فكـرية ثـرية، فهـو مؤرخ الأفكــار إضافة إلى ذلك مــارس النقــد على أصوله كنقــده للنص ،نقده لمفهوم الحقيقــة فلامس بذلك الفلسفة ،كمــا أن الفكر العــربي المعاصر قد تغنى وارتقى باسم محمد أركون ذلك الــرجل المحب للثقافة والمزيج للحـدود ما بين المناهج ،وبين التــراث والحداثة ،كمـــا بيـــن الشــرق والغرب خاصة .

المبحــث الثاني: أركـــــون بين الاستشراق ومنهجيــة علـــوم الإنســان والمجتمــع

إن الــدراسات التــاريخية قـد شهدت صراع حضاري حاد مابين الإسلام والمسيحيـــة خاصة تلك الصورة النمطيــة التي تراها المجتمعات الغــربية حول الإسلام والمسلميـــن بــل إن العــالم الغربي يصدر أحكاما سلبية تلمس الإســلام والمسلميــن كذلك ،يقــول أركون عن الجمهور الغــربي الأوربي "فهــو مشحون بالأحكام السلبية المسبقة و العتيقة عن الإسلام والمسلمين ،إنــه يملك صورة إرتبابية تشتبه بهم ولا تثق بهم على الإطـــلاق إنها صورة إحتقارية وغالبا عدوانية اتجاه كل ما هو "عــربي "أو" مسلم"أو "تـركـــي" وهي أحكام مسبقــة عبــر القــرون وبالتـــالي تصعب زحزحتهـــا أو تفكيكهـا[2] "

ويقصـــد أركون بهذا القــول أن تلك الصورة السلبية التي تراها المجتمعات الغــربيـــــة نحو المجتمعات العربية الإسلامية قـد تشكلت في اذهانهم منذ القـدم وصــارت راسخة لديهم فمن الصعب تجاوزهـــا ،ويتحدث أركون عن ظاهرة أخرى قــد التمست العقـل الغربي في مجمـــــل بحوثه ،وهي مسألة المستشرقين الذين خصصوا دراساتهـــــم وأنجزوا أبحاثهم عن الموضوعات المشبعة بالطابع السياسي العنيف متجاوزين بــذلك المآسي والاوضاع السياسية والاجتماعية المزرية التي تعيشها الشعوب العــربيـــــة الإسلامية "فلا أحــد يهتم بدراسات التفاوت التاريخي الكائـــــن بين المجتمعات الاسلامية ،والمجتمعات الأوربية

[1] المـرجع نفســـه ص 15

[2] محمد أركون ،قضـــــايا في نقـــــد العقـــل الديني ،كيف نفهم الإسلام اليوم ،ترجمة هاشم صالح ط(3)،بيروت ،لبنان ،دار الطباعـــة 2004 ص 19.

المتقدمة ،فهناك تفاوت حاد جدا بين كيفية ممارسة الفكر في السياق الإسلامي،وبين التقـدم الهـائل الذي حققته المعرفة العلمية وتطبيقاتها التكنولوجية والمواقع الفكرية والفنيـة التي تـم التـوصل إليهـا في الغـرب الحديث"[1]

يتأسف أركون عن النخب الفكرية وماتحمله من انطباعات ورؤى سلبية عن الإسلام فهذا الأمر مخالف للروح العلمية ،بل يجب على هؤلاء أن يتبنوا تلك الأحكام يأخذونها بعين الاعتبار ،لأن موقفهم السابق ذكره "دليل على وجود نقص معرفي كبير لديهم فيما يخص تطبيق العلوم الإنسانية والاجتماعية على دراسة مجالهم الخاص"[2]

ويتحسـر أركون على التمييز القائم بينه وبين زملائه الغربيين رغم أنهم يدرسون مجالا مشتركا وهو التراث الإسلامي : إذ أن هؤلاء يدعون بالمستشرقين أو علماء الإسلاميات بينما يدعونه بالمسلم الليبيرالي، أو المسلم المتزمت...الخ فهـذه التصنيفات أطلقهـا الخبراء الغربيون معتقدين بذلك أنهم الأجدر بامتلاك المصداقية العلمية دون غيرهـــــم إن المستشرقين ينسبون سائـر المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تعانيها الشعوب الإسلامية إلى الإسلام ،ويذهبون إلى القول "باستحالة قيام علمانية في مجتمعات إسلامية ،لأن الإسلام في نظرهم لا يميز بين الدين والدولة[3]"(1).إلا أن أركون نقد هذا الطرح لأن المستشرقين مثلهم مثل سائـر الناس لا يختلفـون عنهم ،وبهذا لا يجب أن تنسب أبدا تلك الأوضاع المتدهورة إلى الإسلام.

يرى أركون أن المعرفة الاستشرافية قـد تعرضت إلى ثلاث عوائق منها:النزعة المركزية الأوربية التي لا تعامل الإسلام كباقي الديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية باعتبارها جزء من ميراثهم الحضاري وعمـاد ثقافتهم الأصلية وبالتالي يجب ان تحظى بالأولوية في القيام بمختلف الدراسات ،إضافة إلى ذلك أن المستشرقين تناولوا الموروث الإسلامي ودرسوه بلغات الاستشراق الكبرى الألمانية ،الإنجليزية، الفرنسية،.....الخ زعما منهم بالتحلي بالموضوعية إلا أن أر كون أبطل هذا الزعم خشية منه شيوع وعي يحتكر شأن الإسلام ويستصغره بجعله موضوع قـائم بذاته للمعرفـة العلميـة.

يتجلى العائق الثاني للمعرفة الاستشرافية بعنوان التعميم غير العلمي وغير التاريخي للظواهـر الاجتماعية والثقافية، إذ أصبح المستشرقون لا يميزون بين

([1])مـرجع نفسـه ص19.
[2]مـرجع نفسـه ص20.
[3]عبـد الإلـه بلقـزيز ،محمـد أركـون المفكـر والباحث والإنسان ص57

الإسـلام كعقيـدة دينية محضى ،وظواهـر اجتماعية تابعة للسياقات التاريخية والأنتروبولوجية ،وبالتالي أصبح تعميم المشاكل الاجتماعية والثقافية يمس كافة المجتمعات الإسلامية،وإرجـــاع أسباب حدوث ذلك إلى الإسلام ،أما العائق الثالث يكمن في خضوع بعض الاستشراق لأغراض لاصلة لها بالبحث العلمي ،فقـد لاحظ أركون أن بعض المستشرقين الكبـــار استغلوا هيبتهم العلمية لقضاء حاجاتهم وخدمة مصالـحهم الشخصيـــة ،فكثيـــر من المستشرقون الكبار مثل بيرنارلويس** الذين بالغوا إلى حد كبير خدمة سياسات بلادهم نحو العالم الإسلامي، ومن هنا أصبحت المعرفة الاستشراقية تفقـد صرامتها وموضوعيتها لأنها تابعة لمضمون إيديولوجي باستغلال العلم من أجل خدمة أغراض سياسية وبالتالي يفقـد الاستشراق نزاهته .

صحيح أن أركون يعترف بالدور الريادي الذي لعبه الإستشراق حول تأسيس دراسات إسلامية التي لم يقم بها الباحثون عـرب ومسلمون في القرن التاسع عشر ونصف القرن العشرين لافتقادهم إلى عـدة منهجية هائلة ولبعدهم عن المصادر الأساسية للتـــراث الإسلامي فقط، بل وجهوا إهتماماتهم إلى دراسة التراث المسيحي واليهودي ،إضـافـة إلى ذلك التراثين الإغريقي والـروماني.

يلمح أركون أن كل الأعمال التي أداها المستشرقون والخدمات الجليلة التي قاموا بها في مجال الدراسات الإسلامية لا تعبر مطلقا عن عجز وتقصير الباحثين العـرب والمسلمون في تحقيق ذلك "وإنما هو ثمرة تاريخ ثقافي أصابه ما أصابه من وهن وانقطاع[1]"

وتشيد ملاحظته كذلك إلى "خطأ بأن تكون ميدان الدراسات الإسلامية وتاريخ هذا الميدان نظرة استعراضية وصفية غير نقـدية "[2]،وإن لم يدرك هذا الأمر أصبحت مسألـــة التفاوت بين المساهمة المعرفية للاستشراق والاستقالة المعـرفية للباحثين العـــرب والمسلمين مسألة عويصة يصعب فهم أسبابها ،ومن أبرز القضايا الاستشرافية التي اهتم بها أركون أولا قضية التسلسل الزمني للسور والآيات القرآنية ،ثانيا ترتيـــب مجمل عبارات ونصوص الوحي وهكذا يدعو أركون إلى "إنجاز تصنيف كرونولوجي أي زمن للسور والآيات من أجل العثور على

*بيـرنارلويس ولد في 31 مايو 1916 - و توفي في 19 مايو 2018) من مواليد لندن ببريطانيا. هو أستاذ بريطاني أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون.

[1] عبد الإله بلقزيز ،محمد أركون المفكر والباحث والإنســان ص 64

[2] محمد أركون الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ أخر للفكر الإسلامي،ترجمة هاشم صالح دار الساقي ،بيروت لبنان ط(1)،سنة 1999 ص44

الوحدات اللغـوية الأولى للنص الشفهي[1]" ومن أجل إعادة كتابة التاريخ الحقيقي للقـران.

لقـد كان لأركون احتكاك بالاستشراق تأثيرا وتأثرا ،ولم يكفيه هذه إلا أن وطــد الصلة بمناهج علوم الإنسان والمجتمع من أجل بناء نسقه المنهجي لدراسة التــراث الإسلامي ومن بين تلك المناهج المعتمدة في ذلك أولها :المنهجية التاريخية التي كانت بمثابة بداية للتحرر والتخلص من الفيزيولوجيا الاستشرافية ،بحيث اكتشفت على يد لوسيان فيقر وبعد ذلك خاصة مع المستشرق الأمريكي المعاصــر "دافيد باوريس" فهذا المنهج الفيلولوجي يقف على معالجة الأخبار المنقولة والتأكد من صحتها ومصداقيتها واهتم بتحديد التواريخ والتأكد من مادية الأحداث من خلال الإعتماد على النصوص من أجل استنباط معانيها ،أما بالنسبة إلى الباحثين العرب والمسلمين وجدوا أن هذه المنهجية لا تتنافى مع الوعي الإيماني لدى المسلم ،بل تخلق نوعا من الدمار فما كان عليه إلا البحث عن بديل منهجي يراعي المعتقـد الإسلامي وهذا ما قام به أركون.

لم يكتفي أركون بنقــد الفيزيولوجية إلا أنه ذهب إلى قـراءة مجلة الحوليات والتي تم عنها تأسيس مدرسة في فـرنسا بحيث سماها باسم مدرسة الحوليات على يـــــد كــل من فرنان بروديل و لوسيان فيقر بحيث هاجمت وانقلبت هذه المدرسة ضد التاريخ الوقائعي الذي يكتفي بســرد الأحداث باعتبار أن الوقائع هي أساس التاريخ وتقف خلفها عــدة عوامل أخرى وهذا ما ذهب إليه أركون باهتمامه الكبير بمنهجية علم النفس التاريخي الحامل للعناصــر المكونة للوعي التاريخي مثل (الخيال،الأسطورة.....الخ)

وبعد ذلك اهتم أركون "بمنهجية الالسنيات" التي شهدت تطورا على يــد كـــــل من اللسانيين ديسوسور، وجاكبسون*،وبنيفينست* يعتبر محمد اركون مؤرخا للفكر العربي الإسلامي فهذا يفرض حتما قراءته للنصوص الدينية القديمة ومعالجتها السانيا، يرى هاشم صالح أن علم اللسانيات مجال شاسع يحوي الكثير من التفرعات منها " علم السمائيات، علم الدلالات والرموز وعلم المعاني السيمانتيك وعلم الدلالات والاشارات السيمولوجيا" ... الخ وكلها علوم متقاربه ومتداخله يصعب التمييز بينها احيانا"
وفي نظر أركون أن الموضوع المدروس هو الذي يستوجب ويفرض المنهج الملائم له فليس للمنهج بان يخضع الموضوع لمفاهيمه واسسه، ومن جهة أخر يقر اركون

[1] مرجع نفســـــه ص 64

*جاكبسو ن عالم لغوي، وناقد أدبي روسي (11 تشرين الأول 1896-18 تموز 1982) من رواد المدرسة الشكلية الروسية.

* بنيفينست 1902 /1976 هو لساني و سيميائي فرنسي .عرف بأعماله المنصبة على اللغات الهندوأوربية.

بوجود الصلة القائمة بين القارئ والنص وبالطبع يستحيل زعزعتها ويوضح ذلك في قوله "أن ألا يستطيع أن أفصل للنص الذي سمع لكي يقرأ عن القارئ الذي يقرأه وفي الواقع إنه فيما يخص القرآن ينبغي أن ندرس الكلام أولا وليس اللغة". هناك علاقة بين القارئ والنص لا أستطيع كسرها أو تهميشها لا أستطيع أن أعتبر النص كمجرد صوتي فونولوجي وسيميائي معنوي ثم أبدأ بتفكيكه وكأنه آلة ميكانيكية جامدة،إن نصا ما وخصوصا إذا كان نصا دينيا قد صنع لكي يقرأ ويعاش.وهنا نلتقي من جديد بمفهوم اللغة الدينية[1]"
ومن هذا القول مباشرة نستخلص في اذهاننا كيف ميز اركون بين اللغة الدينية القائمة على الطقوس والشعائر وبين اللغة العادية التي تكتفي الا بالتوصيل فقط. إن الانسان يعيش في وسط محاط بجملة من الأنماط والاعراف والعادات والتقاليد...الخ فهي عبارة عن مجموعة من الخصائص التي تميز كل فرد او كل مجتمع عن غيره بل تنشئ له ثقافه خاصة به، ويدخل هذا ضمن الاطار الانتروبولوجي الدارس لكل ابعاد وجوانب الانسان وما يتعلق بحياته سواء في ماضيه أو حاضره.

إن "الانثروبولوجيا تبرز بالدرجة الأولى أهمية التشابه والاختلاف بين الجماعات البشرية: فالمقارنات تشكل باستمرار الخلفيةالدائمة لكل دراسة مفردة، وهذا ما دفع المهتمين بهذا الميدان إلى ابتعاد عن دراسة الحضارة الصاهرة لكل اختلاف وتميز أي عن دراسة الحضارة التقنية والعلمية الحديثة والسعي وراء مجتمعات ما زالت خارج هذا الإطار، مجتمعات البدائين أو المجتمعات النيوليتية (الزراعة أو الرعوية) أو ما قبل النيوليتية مجتمعات الصيد أو القطاف[2]"

بمعنى أن البحث الانتروبولوجي"بحث مقارن بالدرجة الأولى يرفض التمركز حول هوية واحدة، ولا يأخذ بالدراسات الأحادية فهو متعدد الميادين والاختصاصات أي يهتم بكل عوامل الحركة التاريخية للمجتمعات البشرية[3]"
يلح اركون على ضرورة دراسة العلم الانتروبولوجي استثمار قواعد خاصة عند قراءة التراث العربي الاسلامي، فحتما يستوجب هذا الاستعانة بالقراءة الانتروبولجية من أجل إدراك المعالم التي تحملها التراثيات الدينية والثقافية سواء قديما أو حديثا.

[1] حمد اركون الفكر الإسلامي قراءة علمية ص 231.
[2] الموسوعة الفلسفية العربية_ معهد الانماء القومي _بيروت_ ط (1) _1986 _ص 122
[3]كيحل مصطفى _الأنسنة والتأويل في فكر محمد اركون _ مرجع سابق- ص272.

خاتمـــــــة الفصــل الأول:

إن محمــد أركون منذ نشـــأته محبذ لفكرة المحاكاة بالغير والاخذ عنهم وهذا ماشهدناه طيلة قراءتنا لسيرته الذاتية العريقة، وخير دليل لإثبات ذلك ترحيبه بالدراسات الغربية خاصة الإستشراق والمناهج التي وضعها علماء الإنسان والمجتمع ،كما تمكن من إعادة الإعتبار للفكر العربي الذي مــر بمحطات ركود بسبب الأوضاع العصيبة التي مــر بها والتي كانت بمثابة الفضل والعرفان للفكر الغربي بإحتضانه للحداثة.

الفصـــــــــل الثانـــي

معالم مشروع محمد أركون

تمهيـــــد :

إن المشروع الفكري الأركوني مشروع ثري، بحيث تلقي عــدة اهتمامات خاصة من طـرف أعلام الفكر الغربي ،الذي جعـــل من مناهجة منهلا للخوض في سياقاته الفكرية. إن مفكرنا قـــد مارس عــدة دراسات إسلامية كمسألة التراث العربي الإسلامي منتقــدا في ذلك كل ما قيل وكتب من قبل سابقيه ،ومن هنا يطرح الإشكال الآتي:

فيمـــــــــا تتبلور معالم مشــروع محمد أركون؟

المبحث الأول: الإسلاميات التطبيقية

1- مفهـــــــوم الإسلاميات التطبيقية

إن الإسلاميات التطبيقية مشروع بديل ومتجاوز للإسلاميات الكلاسيكية (الإستشراق حيث يهدف إلى إعـــادة قـــراءة التـراث الإسلامي قـــراءة نقـــــدية ،ولتحديد المقصود بالإسلاميات التطبيقية ينبغي العودة إلـــى مصدر هذا المصطلح.

لقـــد جاء محمـــد أركون بمفهوم علم الإسلاميات التطبيقية مقتبسا في ذلك من كتاب

"الأنثروبولوجيا التطبيقية- روجيه باستيد ،وبمفهوم أخر إن "الإسلاميات التطبيقية هي ممارسة علمية متعددة الاختصاصات ،وهي علم جديد يختلف عن الإسلاميات الكلاسيكية باعتبارها خطابا غربيا باردا حول الإسلام يحصر اهتماماته من خلال كتابات الفقهاء ونقلها إلى اللغات الأوربية الحديثة دون أن يحللها[1]"

وبهذا القول يـــريد أركون التمييز بين الإسلاميات الكلاسيكية والإسلاميات التطبيقية إذ يقصـد بالأولى أنها "خطاب غربي حول الإسلام _هي في الواقع من اختراع غربي يكتفي به المسلمون فيما يخصهم بالحديث عن الإسلام مثلما يفعل المسيحيون فيما يتعلق بالمسيحية"[2].

أمـــا الثانية فهي علم مشبع بمجموعة من المناهج القائمـــة بذاتها تهدف الإسلاميات التطبيقية إلى دراسة الوقائع المختلفة التي عاشتها المجتمعات العربية الإسلامية انطلاقا من منهجية أركون المسماة "بالتقدمية –التراجعية"أي العودة إلى ماضي الشعوب ومراعاة الظروف التي شهدتها ،ومحاولة فهم أسباب تفشيها وطفوها من أجل معالجة الحاضر ومواكبة السير على مضمار النهضة والحداثة ،لأن في نظر أركون كل الصعوبات والتعثرات التي تعانيها الشعوب العربية الإسلامية راجع إلى تاريخ الفكر الإسلامي الذي عاش أصعب مظاهر الاضطهاد ، إذن إن الإسلاميات التطبيقية تنطلق "من واقع المسلمين وحاضرهم ومشاكلهم ثم استنباط ما يتعلق بها من تعاليم دينية ،وأغراض سياسية ومصالح اقتصادية وغير ذلك من العوامل المؤثرة في الحركة التاريخية الشاملة للمجتمعات[3]" ثم تدرسها دراسة علمية

2- موضوع الإسلاميات التطبيقية:

إن موضوع الإسلاميات التطبيقية هو العقل الإسلامي الذي تشكل عن ظاهرة الوحي ومسألة النص القراني باعتبار القران خطابا دينيا يحمل في طياته دلالات عقلية مختلفة .

---

[1] محمد أركون –الإسلام ،الأخلاق ،السياسة ترجمة هاشم صالح-مركز الإنماء القومي-بيروت_د(ط)_1990-ص _8

[2] فارح مسرحي –الحداثة في فكر محمد أركون –مقاربة أولية –الدار العربية للعلوم –ناشرون-بيروت-ط(1)_2006_ص107

[3] محمد أركون –تاريخية الفكر العربي الإسلامي –ترجمة هاشم صالح-مركز الإنماء القومي –ط(2)-1996-ص5

إن الإسلاميات التطبيقية لا تنحصر على تحليل الخطاب الديني فقط ،بل تسعى إلى نقده كما أنها تأخذ بعين الاعتبار المواضيع التي همشتها الإسلاميات الكلاسيكية وهي كالتالي:

"الممارسة والتعبير الشفهي للإسلام خصوصا عند الشعوب التي ليست لها كتابة مثل البربر والأفارقة،إهمال المعاش غير المكتوب وغير المقال بسبب السيطرة الإيديولوجية على المواطنين وهيمنة الحزب الواحد والمنعطفات التاريخية (مثل نضال التحرر الوطني)،إهمال المعاش وغير المكتوب لكنه محكي وذلك ان الإسلام المحكي في اللقاءات اليومية والمؤتمرات (.....)لها أكثـر دلالة من الإسلام المكتوب ،إهمال الأنظمة السيميائية وغير اللغوية التي تشكل الحقل الديني مثل الميثيولوجيات، الموسيقى، الشعائر....الخ"[4]

إنطلاقا من هذا الأمر أصبح بإمكاننا إستنتاج الفروقات القائمة بين الإسلاميات الكلاسيكية والإسلاميات التطبيقية،بالإضافة إلى ذلك إن المستشرقين يراقبون الإسلام عن كثب ويكتبون عنه دون أن يراعوا مصير المجتمعات العربية الإسلامية وماتطرقت إليه من أثار مختلفة فهم "يتحدثون عنه إنطلاقا من فرضيات مسبقة ومسلمات فلسفية ولاهوتية وإيديولوجية "[5]

تقوم الإسلاميات التطبيقية على المراقبة والتحليل ثم النقد فهي "منهجية متعددة الجوانب تجمع بين القراءة التاريخية-الأنثروبولوجي باعتبارها قراءة لغوية تدخل معامل التاريخ في الحسبان ،والقراءة الألسنية السيميائية الأدبية ،وهي قراءة مزدوجة :عمودية من حيث تركيزها على بنية النص والتفاعل معه ،وأفقية كونها تشير إلى التناص الحاصل بين النص القراني ونصوص أخرى سابقة له."[6]

إن الإسلام "كأي دين أخر هو جسد مؤلف من عدة عوامل لا تنفصم :العامل النفساني والبسيكولوجي (الفردي والجماعي)،العامل التاريخي (تطور المجمعات الإسلامية)

العامل السيسيولوجي (أي محل الإسلام "ضمن العامل التاريخي "لكل مجتمع ، وانعكاس مصير هذه المجتمعات على الإسلام كدين)والعامل الثقافي (فن –أدب- فكر)"(1)

[4] محمد أركون-تاريخية الفكر العربي الإسلامي –المرجع السابق-ص 52
[5] محمد أركون –العلمنة والدين –ترجمة هاشم صالح –دار الساقي –بيروت –ط3-1996-ص37
[6] عبد الإله بلقزيز – محمد اركون المفكر والباحث والإنســـان –المرجع السابق ص 28

إذن لكل مجتمع عوامل مكونة لبنيته ،وتعتبر بمثابة الأعمـــدة الأساسية التي يرتكز عليها ومن خلالها تتشكل ثقافته ويتبن تراثه .

أما من الناحية الإبستيمولوجية (معرفية)فإن الإسلاميات التطبيقية لا تقر بوجود أي منهج أو خطاب بريء وخال من العيوب والنقائص ،فهي بدورها توجه نقدا حادا لأي خطاب كان وهذا ما جعلها تقتدي بمجموعة من المناهج في مختلف الدراسات الإسلامية.

3- مهـــــــام الإسلاميات التطبيقية:

إن الإسلاميات التطبيقية تقف على مهمتين رئيسيتين هما :دراسة التراث ودراسة الحداثة نظرا للعلاقة المتبادلة بينهما باسم المسار التاريخي للمجتمعات العربية الإسلامية المليء بالأحداث والوقائع التاريخية ،وبزوغ فجر الحداثة وتقدمها في لمجتمعات الغربية،أما الإسلاميات الكلاسيكية قد غابت عن أنظارها هذه العلاقة حيث" اكتفت بالدراسة الإيجابية لتاريخ الإسلام ،أي استيعاده ذكرى الإنجازات المختلفة لمراحل التشكل والنضج[7]" فالعرب والمسلمون لا يزالون يستمدون فخرهم واعتزازهم بالعصر الذهبي (العباسي)ذلك العصر الذي شهـد ارقى ملامح السمو والازدهار للحضارة العربية الإسلامية.

إن "التراث والحداثة عمليتان مترابطتان ولإبراز تعلقهما يتعين المتح من إنجازات العلوم الإنسانية من لسانيات وتاريخ وأنتروبولوجيا وسيكولوجيا وكذا من التحليلات الفلسفية الجديدة كتفكيكية دريدا وحفريات ميشال فوكو، فكل هذا بهدف تحرير العقل العربي الإسلامي من عوائقه الذاتية والموضوعية[8]" إذن يمكن القول بأن الإسلاميات التطبيقية مشروع فكري يهدف إلى فتح أفاق لدراسة بعض المواضيع التي كانت تحت هيمنة العقلية الدوغمائية، إضافة إلى ذلك أنها تحث المثقف العربي المعاصر على الخوض في مسارات البحث العلمي والانحياز عن الفكر الدو غمائي ، وتسعى كذلك إلى "تركيز الجهود على الفعاليات الأربعة التالية ذات أولوية وهي: نقد الخطاب –التاريخ النقدي للفكر العربي الإسلامي –البحث الأنثروبولوجي-إعادة الإعتبار للموقف الفلسفي[9]" كما أنها تحمل على عاتقها مسألة طرح المشاكل والصعوبات التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية ،والمحاولة على تقديم حلول لها والسيطرة عليها عن طريق منهجية علمية ،وهذا مالم تحققه الإسلاميات الكلاسيكية التي لم تقدم سوى رؤى خارجية لا تربطها أي علاقة بواقع

[7] محمد أركون –تاريخية الفكر العربي الإسلامي –المرجع السابق-ص 57
[8] المرجع نفسه ص 59
[9] عبـد المجيد خليقي – قراءة النص الديني عند محمد أركون –منتدى المعارف-بيروت ط1-2010-ص 112

المسلمين ،وهكذا تمكنا من تحديد منطلق الإسلاميات التطبيقية ،ذلك المنطلق المستوحى من واقع المسلمين ومشاكلهم .

4-عوائق ومصاعب الإسلاميات التطبيقية:

إن الإسلاميات التطبيقية قد واجهت في طريقها عائقين يحدان من حسن مسارها في إنجاز مهامها على أتم وجه وهمـــــا كالتالي:

العـــائق الأول: ويشمـــل ردود أفعال الفئات التي تخضع إلى هيمنة السياج الدوغمائي* من فلاحين وحرفيين .....الخ الذين يرفضون تماما المس بمعتقدهم وبميراثهم المكون لشخصيتهم وهويتهم التي ورثوها عن أبائهم ،إضافة إلى ذلك الفئة المكونة من مهندسين وأطباء ....الخ التي تحمل نفس الانطباع كسابقتها، فحسب أركون لا تختلف هذه الفئة عن الأولى(فئة الفلاحين،والرعاة.....الخ)،لأن كلتاهما تخضعان معا إلى "نفس القوى الانفعالية ولنفس الشعورات الدينية والعقائد الإيمانية والأعراف الاجتماعية والقيم الأخلاقية والقانونية[10]"

العائـق الثاني: ويتمثل في "رفض النخبة الحاكمة (الدولة) أي زعزعة لسلطتها فهي إذ تسخر المقدس الرموز الدينية وتعمل على تحويله من شعارات إيديولوجية للاستهلاك فقط"[11] إنهـــا تعارض تمـاما أي تدخـــل يزعزع معتقدها لأن المساس بمعتقدها يخل من نظـام مشروعيتها .

إن العائقين السابق ذكرهما اعتراضا طريق الإسلاميات التطبيقية بحيث جعلا منا نستدرج حقيقة حول المثقف النقدي وهي :وجوبه واستلزامه باللجوء إلى دراسات وتحليلات جذرية مصدرية ،عميقة وخالية من كل الشوائب وحصينة من كل العوائق بالإضافة إلى ذلك العمل على إعادة بناء وتشخيص الأوضاع المزرية التي مرت بها الشعوب العربية الإسلامية والسعي من أجل معالجة الأزمات الحادة والخروج بمجموعة من الأسباب والعوامل الحقيقية المسببة في ذلك .

المبحث الثانـــــــي: المقاربات المنهجية عند محمد أركون

*السياج الدوغمائي:من إختراع أركون يعني به المؤمن المسيحي مثلا مسجون داخل العقائد الإيمانية التي يعتبرها مطلقة وكل ماعااها خطأ وظلال وهو الأمـــر ذاته عن المؤمن اليهودي أو الإسلامي(أنظر :هاشم صالح محمد أركون قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم)مرجع سابق ص 49

[10] مـــرجع نفســـــه ص 22

[11] محمد أركون الفكر الإسلامي نقـد وإجتهاد –المرجع ص 18

يتميز البحث الأركوني بالتعددية في المناهج من أجل القيام بمختلف البحوث حول القضايا والمسائل التي طرحت في فضاء الفكر العربي المعاصر ،والعمل على إيجاد تفسيرات لها،ورفع غطاء الغموض والإبهام الذي كان يكتنفها .

لقـــــد كان لمفكرنا الحازم محمـد أركون احتكاكا قـويا بالغرب بدأ من "من الإستشراق ومدرسة الحوليات في التاريخ ،والتاريخ الجديد في فرنسا مـرورا بالبحوث الأنتروبولوجية الثقافية والسياسية ،وتاريخ مقارن للأديان ،وصولا إلى البحوث السيميائية واللغوية الحديثة وإنتهاءا بالأدوات المنهجية عند ميشال فوكو وأدوات البحث الاجتماعي عند بورديو ،والمنهج التفكيكي عند ديريدا.....الخ"[12] ويمكن تجميع مختلف المناهج التي تبناها أركون ضمن مجموعة من المقاربات وهي كالاتي:

1- المقاربة السيميائية الألسنية:

تحتل هذه المقاربة الصدارة في المنجية التي يقترحها أركون لإعادة قراءة التراث الإسلامي ،نظرا للدور الهام الذي يلعبه التحليل الألسني أو السيميائي وهو مساعدتنا على إقامة حاجز بيننا وبين العقائد الإيمانية التي ورثناها عن أبائنا ،إذن إن "المقاربة اللغوية تسمح للباحث بأن يتحرر من أسر النصوص الدينية وهيبتها، وتجعله يرى هذه النصوص على حقيقتها المادية –كلام مدون في مادة مما يساعده على تحليلها تحليلا موضوعيا[13]"أي قابلا على استخدام الدلالات والمعاني السيميائية والليسانية، ولإنجاز المقاربة السيميائية الألسنية ،يشترط أركون على الباحث شـرطين مهمين وهما: "الإحاطة بالأرضيـة المفهومية الخاصة بالليسانيات والسيميائيات الحديثة مع ما يصاحبها من أطـر التفكير والنقد الإبستمولوجي، وثانيا أي يتدرب القارئ على التمييز بين الاحتجاج، الإدراك، التأويل والتفسير الذي يتم في الإطار المعرفي العقائدي الدوغمائي، وبين التحليل والتفكيك للخطاب الديني[14]"

يقر أركون بأن المقاربة السيميائية الألسنية تحتاج إلى ضرورة تطهير اللغة من الألفاظ والعبارات التي تحمل دلالات مستوحاة من اللغـة الأرثوذوكسية ،من أجل القـدرة على التفكير في الإسلام بشكل علمي فلسفي، ومن بين تلك الألفاظ نذكـر :لفظة الوحي، لفظة الحلال .....ومختلف المفردات الإيمانية العقائدية التي لا تحتاج إلى إعادة في التفكير اعتقادا بأنها مفردات ومفاهيم بديهية واضحة.أمـــا أركون يرى عكس ذلك لأن بعض الكلمات والألفاظ تظهـر لنا في بداية الأمـر أنها واضحة ولكنها تحتاج إلى دراسة دقيقة من أجل إدراك معناها الحقيقي .

[12] كيحل مصطفى-الأنسنة والتأويل في فكـر محمد أركون –مـرجع سابف ص 31
[13] فارح مسرحي الحداثة في فكر محمد أركون –مـرجع سابق ص 11
[14] محمد أركون القـران من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني-مرجع سابق ص 5

2- المقاربة التاريخية ،الأنتروبولوجية والسوسيولوجية:

أ) المقـــــاربة التاريخية:لقـد أعطى أركون في أبحاثه "أهمية بالغة للمقاربة التاريخية، وشدد مرارا وتكرارا على ضرورة إدخال المنهج التاريخي في صلب دراسة التراث وبخاصة العقـل الإسلامي"[15]،كمـــــــا أن إهتمامه بعلم التاريخ ومدى إعجابه بالثورة الفكرية التي أحدثتها مدرسة الحوليات في فرنسا قـد ظهـر في الكثير من كتاباته .

يلح أركون بأن "التركيبات اللاهوتية الإسلامية على تعددها من تفسير وفقه وحديث وعلم كلام .....الخ هي من إنتاج البشر،لذلك فإنه من حق المفكر أن يخضعها للبحث التاريخي ،وذلك من دون أن يمس التجربة الروحية الكبرى للإسلام الحنيف "[16]،إذن فالنقد عند أركون ليس نقدا سلبيا ولا يمس بالموروث الديني بل هو نقد للمبـــــادئ الروحية.

لقـد عرفت التحليلات الإبستيمولوجية المعاصرة مفهوما قد ظهر جليا متمثلا في مفهوم القطيعة ،الذي ظهر خاصة مع العالم الفرنسي غاستون باشلار بعـد مجيئه بنظرية علمية تدعى القطيعة الإبستمولوجية*،أمـا الفكر الإسلامي بدوره عـرف مختلف القطائع عبـر مـراحل تاريخه ونذكر منها:القطيعة بين الفكر الإسلامي المعاصر والفكر الإسلامي الكلاسيكي،والقطيعة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي منذ القرن 16،إذن إن القطيعة تعتبر بمثابة نقطة تحول من المعارف التقليدية إلى المعارف الحديثة

وأخيرا يمكن القول إذا كانت قطيعة باشلار هي الفصل بين ماهو علمي واللاعلمي ،فإن أركون قد أحدث كذلك قطيعة مع القراءات السلفية والقراءات الإيديولوجية للظاهرة الدينية وعمل على تجاوز كل الدراسات التقليدية .

ب-المقاربة الأنتروبولوجية: يلح أركون على ضرورة توظيف المقاربة الأنتروبولوجية في الدراسات الإسلامية ،من أجل تبيان مدى خضوع بعض التراثـــــات الخطيـــة إلى الهيمنة الأرثودوكسية* الدينية ،الفلسفية .....الخ ولبلوغ ذلك يجب إعادة قراءة التراث الإسلامي لكي ندرك أسباب خضوع تلك التراثات إلى مختلف الأرثودوكسيات ويتم ذلك وفق مايدعوه أركون بالكتابة السلبية للتاريخ.

---

[15] نايلة أبي نادر –التراث والنهج بين أركون والجابري-مرجع سابق ص47.

[16] مرجع نفسه ص 48

*القطيعة الإبستيمولوجية:نظرية علمية جاء بها غاستون باشلار عندما درس تاريخ الفيزياء

*الأثودوكسية: إن الجذر اللغوي لكلمة الأرثودوكسية نجد في اللغة اليونانية حيث يتكون من orthos ويعني droit أي المستقيم و doxaوتعني الرأي opinion أي الرأي المستقيم) opinion droit أنظر : كيحل مصطفى – الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون – بإشراف إسماعيل زروفي – جامعة منتوري قسنطينة – 2008/2007 ص 107

إن هذه القراءة تسمح لنا "بالإستماع إلى ماقاله المهمشون المنبوذون المعارضون على مر العصور والذي حذفه التاريخ الرسمي وجعله في دائرة المستحيل التفكير فيه "[17]

إن المسائل الدينية التي طمسها التاريخ كنظرية خلق القران عند المعتزلة يجب ان تدرس أركيولوجيا نسبة إلى المنهجية الأركيولوجية (الحفرية)التي جاء بها الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو الذي قال عنها أنها "ليست شيئا من كتابة ثانية أي تحويلا منظما لما كتب لا يتعدى الشكل البراني،فهي ليست عودة أو رجوعا إلى سر الأصل ذاته بل إنها وصف منظم للخطاب يجعل منه موضوعه[18]

إذن ،إن دراسة التراث الإسلامي بحاجة ماسة إلى الحفر الاركيولوجي الذي جاء بـــه ميشال فوكو ،لأن هنالك الكثير من الأحداث والوقائع التاريخة لا زالت تكمن تحت غطاء الغموض ،وهذا ما جعل أركون ينتهل في بحثه تلك المنهجية"لأن مؤرخ الفكر بالمعنى الحديث للكلمة(فوكو يقول:أركيولوجي الفكر)هو ذلك الذي يستطيع التوصل إلى تلك العصور الغابرة المطمورة بالركام عن طريق الحفر والتعرية ،فخلال قـرون عديدة حصل تـراكم لواقع يغطي بعضها تماما كما في علم الأركيولوجيا أو الأثار[19]""

وأخيرا يمكن القول أن أركون عند دراسته للمجتمعات الإسلامية إنطلق مباشرة من العلاقة التي وصفها بالجدل القائمة بين القوى المركزية وقوى الهوامش التي جاء بها

المفكـر هينري لوفيفر التي تواردت عنها مصطلحات مشابهة لها من طرف علماء الأنتروبولوجيا خاصة بالمفهوم الذي جاء كلود ليفي ستروس المسمى بـ: الفكر المتوحش/الفكر المدجن .

ج –المقـاربة السوسيولوجية:بعدما تطرقنا سابقا إلى المقاربتين التاريخية والأنتروبولوجية أما الأن سنسلط الضوء على ماتحمله المقاربة السوسيولوجية .

إن الغرض من التحليل السوسيولوجي هو تقويض الفكرة التي يعتصم بها المسلمون التي تنص على أن الإسلام دين نزيه ومتعالي عن الأمور الدينية المختلفة ،فهو بمثابة المرشد القويم للمجتمعات التي تبقى دائما في حاجة إلى تعاليمه وتوجيهاته من أجل خلق مجتمع بناء تسوده مكارم المبادئ والقيم .

[17]فارح مسرحي –الحداثة في فكر محمد أركون –مرجع سابق ص 116
[18]ميشال فوكو –حفريات المعرفة –ترجمة سالم يفوت –مركز الإنمـــاء القومي العربي-بيروت-ط(2)منقحة -1987-ص 125
[19]محمد أركون الفكر الإسلامي قـراءة علمية –مرجع سابق ص 10

ومن هذا المنعرج ندرك الدور الفعال للتحليل السوسيولوجي في فهم الظاهرة الإسلامية والتراث الإسلامي ،" لأن الملاحظة البسيطة للمجتمعات تؤكد أن هناك إختلافا بين إسلام المدن وإسلام الأرياف ،وبين إسلام الطبقة المثقفة وإسلام الجماهير الشعبية[20]"

تعتبر الظاهرة الدينية كسائـر ظواهر الحياة الإجتماعية إقتصادية كانت سياسية أم ثقافية قابلة للتحليل السوسيولوجي ،وهذا ماعمد إليه أركون في قراءة التراث الإسلامي حيث إستعان بالعديد من المصطلحات السوسيولوجة وأهمها :المصطلح الذي جاء به بيار بورديو* المسمى بـ: رأسمال الرمزي* فهو يرى أن التعاليم الإسلامية تعـــد رأسمال رمزي إلا أن بعض "الحركات السياسية تريد إستغلاله لصالحها من أجل تعبئة الأنصار والتوصل إلى السلطة[21] "

3-المقاربة التيولوجية :يقصـد بالتيولوجيا علم اللاهوت ،وسنتطرق إلى محتوى هذه المقاربة إنطلاقا من مناقشة أركون لفكرة التوحيد والتي جاء فيها مايلي :"(.....) أنا لا أقول بالتراجع عنهذا التصور ،معاذ الله ،ففي التوحيد المزه المطلق تتجلى عبقرية الإسلام وإنما أقول بإعادة تأويله ،أي بتأويله بشكل مخالف لما ساد في العصور الوسطى (.....) وهنا يكمن الرهان الأكبر لمراجعة التراث الإسلامي كله ولتأسيس لاهوت جديد "[22]، ومن خلال هذا النص نستخلص المقاربة التيولوجية التي يقترحها أركون ،وهي بناء لاهوت جديد يسمح للمسلمين "بتأسيس علاقة جديدة بين الله والإنسان (.....)ضمن الواضح إذا لم نتحررمن التصور القروسطي لهذه العلاقة ،فإننا لن نستطيع أن نتحرر على المستوى السياسي والإجتماعي ،أو الأخلاقي ،أو حتى الإقتصادي "[23]

إن أركون قـد عمـد إلى هذه المقاربة من أجل تجاوز الإنغلاق والعقبات التي أحدثتها التيولوجية التقليدية المبنية على أساس الأحكام المسبقة لدى المجتمعات التي عرفت الكتاب المقدس (يهود،مسيحيين، مسلمين)حيث صرح قائلا "(.....)أفتتح حقلا جديدا من التفكير تصبح فيه المزاعم التقليدية للمسحية والإسلام معا متجاوزة (.....)ينبغي العودة إلى أسس المسألة و أصلها "[24]

---

[20] فارح مسرحي- الحداثة في فكـــر محمد أركون –مـرجع سابق ص 115

* بيار بورديو: الم اجتماع فرنسي، أحد الفاعلين الأساسيين بالحياة الثقافية والفكرية بفرنسا، وأحد أبرز المراجع العالمية في علم الاجتماع المعاصر، بل إن فكره أحدث تأثيرا بالغا في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

* رأسمال الرمزي: هو مصطلح سوسيولوجي بلوره عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو، ويقصد به تلك المنزلة التي اكتسبها الفرد نتيجة امتلاكه سمات محددة كالشرف والهيبة والشهرة والسمعة والتي تحظى بتقدير أفراد المجتمع.

[21] محمـد أركون –أين هو الفكر الإسلامي المعاصر –مرجع سابق ص 8

[22] محمد أركون-قضايا في نقد العقل الديني-مرجع سابق ص 281

[23] مرجع نفســه ص نفسها

[24] محمد أركون- الفكــر الإسلامي قراءة علمية-مرجع سابق ص 46

كمـا أن هذه المقاربة تهدف إلى "تكوين منظومة عقائدية تسمح للمسلمين بدخول عالم الحداثة"[25]

4-المقـــاربة الفلسفية: إن هـدف أركون من هذه المقاربة هو مساعدة الشعوب الإسلامية على فهم واقعها ،وغـرس في نفوسهـا مبدأ النقـــــد ،لأن في نظره الاكتفاء بالبحث دون ممـــارسة النقـد والتقويم لا يسهم في تطور هذه المجتمعات .

لقـد سعـى أركون في أبحاثه إلى تسليط الضوء على أي مشكلة كانت ،والعمـــل على إخراجها من دائـرة الانغلاق ،كمـــــا يلح على أن المعارف الخاطئة بتعددها علـى مـــر العصـــور يجب أن تدرس وتكشف عن طريق منهجية فاذة تمحي كل الاعتقادات والتصورات التي تعلق بها الناس .ومن بيـــن تلك الوسائـــل التي تسهم في ذلك التحليلات الفلسفية الجديدة ،وعلى رأسها تفكيكية جاك دريدا والسؤال المطروح :ماذا يقصد بهذه المنهجية ؟وكيف طبقها أركون في دراسة التراث الإسلامي ؟

لقـد جاء الفيلسوف جاك دريدا بمنهجية تدعـى التفكيكية (التحليلية)حيث تلقت هذه المنهجية الاهتمام الكبير من قبل مفكرنا محمد أركون معبـرا عنها قائلا :"إن التفكيك يتمثل (.....) في إكتشاف الأجزاء المخفيـــة أو المطموسة من خطاب مـــا أو نصب أثري أو من أي عمـل أو أثـــــر ثقـافي .ثم تقوم بفـرز هذه الأجـزاء المخفية بعـــد نبشهـا ونشـــــرها على طاولة التحليل لمعرفـــــــــة كيف تمارس دورها ضمن البنية العامة للفكر[26]"

أي أن التحليل الدقيق يكسبنا القـــــــدرة على بلوغ حقيقة الشيء ،وهذا ما جعله يعتمـد على هذه المنهجية في دراسة التراث الإسلامي الذي يحتاج إلى عناية كـاملة ودراســـة دقيقـة نظرا لتبلور بعض المشاكل في فهمـه ،إذ كان دريدا أقبل على تفكيك الميتافيزيقا الكلاسيكية فإن أركون عمـــــــل على تفكيك العقـــل الإسلامي ،ونأخذ على سبيل المثال في ذلك :مسألة تفسيـر لفظة(كلالة)الواردة في الآية(175) من ســورة النساء التي اجتهد في تفسيرها خاصة الطبري .

يـــــــرى أركون أن الآية (175)[27]"تشرح طريقـــة الإرث ولكنها لا توضح بالفعـل معنى الكلالة فهي تشيـر إلى أن الهالك الذي لا يخلف وراءه طفلا يمثـل

[25]فارح مسرحي -الحداثة في فكر محمد أركون-مرجع سابق ص119
[26]محمـد أركون-الفكر الإسلامي قـراءة علمية-مـرجع سابق –ص 10
[27]الآيـــــة (175) من سورة النساء :تقول "يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة "انظر المصدر نفسه –ص 52

حالة من حالات الكلالة"[28]، ففـــي نظره أن الطبري لم يعطي لكلمـــة كلالة معناها المستحق خوفا منه باختراق روح الإرث العـــربي.

وفي أخـــر المطاف يمكن القـــول أن أركون يقـــر بضرورة تحليل وتفكيك الظواهر الدينية ،لأن الدراسات الإسلامية بحاجة إلى أدوات منهجية تساعدنا على بلوغ الحقيقة خاصة أن المجتمعات العربية الإسلامية قـــد طغت عليها اعتقادات غير صائبة توارثت من عصـــر إلى أخر ،وهذا ما جعل أركون يلح بضرورة كتابة تاريخ جديد لقـــراءة التـــراث الإسلامي الذي لم تقم بدراسته الإسلاميات الكلاسيكية إلا بشكل سطحي ،إضافة إلى المنهج التفكيكي لجاك دريدا قـد كان للمناهج الأخرى كالأنتروبولوجيـــة واللسانية .....الخ حضورا قـــويا في المشـــروع الفكري لمحمد أركون .

[28] عبد المجيد خليقي –قـــراءة النص الديني عند محمد أركون-مرجع سابق –ص 139

خلاصـــــــــة الفصـــــــــل الثاني :

لقــد أحدث المشــروع الفكري لمحمد أركون صدى كبيرا في فضاء الفكر العربي المعاصر عندما يتعلق الأمــر بالدراسات الإسلامية ،حيث كرس حياته وجهوده من أجل رفع الأثقال عن كاهل الأمــة العربية الإسلامية وتقديم الحلول لمشاكلها ومعالجة إنزلاقاتها مستعملا في ذلك ما يسمى بالإسلاميات التطبيقية بالإضافة إلى جملة من المقاربات المنهجية لعلوم الإنسان والمجتمع التي جاء بها الفكر الغربي، حيث أنــــه أحسن استغلالها وتوظيفها طيلة مشروعه.

الفصـــل الثـــالث

أركون والتراث

مفهـــــــوم التـــراث لغـــــــــة

في اللغـــــــــة "لفظ التـــراث تضعـــه المعاجم تحت مـــادة "ورث"، ورث الوارث، من صفات الله تعـــالى ....."ورثـــــــه ماله ومجده ،وورثـــــــه عنه ورثا ،وارثه وميراث والتراث :ما يخلفـــــــــه الـــــرجل لورثته والتـــاء بدل الواو "فالتراث مرادف للإرث والورثة والميراث، ويطلق على أنهما خاصتين بالمال ،وبين الإرث على أنه أساس خاص بالحسب أمـــــا لفظ التراث فهـــو أقل المصادر من فعل ورث استعمالا وتداولا عند العرب الذين جمعت منهم اللغة العربية " [1]

كما إن كلمة تراث وردت في القران مرة واحدة بقوله تعالى :"كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما "

والمقصود من هذه الآية "تأكلون الميراث أكلا شديدا ،حيث كان العرب في الجاهلية يأكلون ميراث النساء والأولاد الصغار أكلا شرها جشعا ،أي يأخذون نصيبهم ونصيب غيرهم ممن لا حول له ولا قوة"[2]

إضـــــافة إلى ذلك أننـــــا نلاحظ كلا من التعريف اللغـــــوي والاستعمال القرآني لكلمـــــة "تـــراث "يبتعـــــــد بهـــا عن الموروث الثقافي والفكـــــــري الذي يعطي لهـــا في الخطاب العربي المعاصـــر ،حتى أن المفكرين المسلمين القـــدامى كانوا إذا أرادوا الإشارة إلى المعنى الحـــــالي للتـــراث ،"استعملوا تراكيب خاصـــــة غيـــر كلمة تـــراث "فالكندي (803-873هـ)كمـــا يشير إلى فضـــل القـــدامى وواجب الشكـــــــر لهم مستعملا عبارة (.....ما أفادونا به من ثمـــــــار أفكارهم .....)، أمـــــــا ابن رشد فيستعمل عبارة أخـــرى مثل :إنـــــه يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك ....."[3]

---

[1]- -فـــارح مسرحي –الحداثة في فكر محمد أركون –مرجع سابق –ص88

[2]- -القران الكريم _سورة الفجـــر ص 19

3- فارح_مسرحي _ الحداثة في فكر محمد اركون _مرجع سابق_ ص 89

أمـــــا في الفقه الإسلامي "حيث عني الفقهاء عنـــاية كبيـــــرة بطريقـــــة توزيع تركة الميت على ورثته حسب ما قـــرر القـــران الكريم (باب الفـــرائض)فـإن الكلمـــة الشائعـــة والمتداولة لدى جميع الفقهـــــــاء هي كلمـــــــة ميراث بالإضافـــة طبعا إلى ورث، يرث، ورث ،توريث ،الوارث ،الورثة.....الخ أمـــــــــا لفظ التراث فلا نكـــــــاد نعثـــــر له على أثـــــــر في خطاباتهم وأمـــــا في الحقول المعرفية العـربية الإسلامية الأخـــرى مثل: الأدب وعلم الكلام والفلسفـــــــــة، فلا كلمة "تراث" بأي وضع خاص كل لا نكاد نعثـــــــر لهـــــــا عن ذكـــــــــر".[1]

- مفهوم التراث اصطلاحا:

"التراث بمعناه الواسع هو ما خلفه السلف للخلف من ماديات و معنويات أي كان نوعها أو بمعنى أخر هو كل ما ورثته الأمة و تركته من إنتاج فكري و حضاري سواء فيما يتعلق بالإنتاج العلمي بآداب و الصور الحضارية التي ترسم واقع الأمم و مستقبلها و هذا يعود إلى بدء المعرفة الإنسانية بأشكالها و أساليب التعبير بأنواعها سواء في المخلفات الأثرية أو فيما سجل في وثائق الكتابة [2] و هذا يعني أن "التراث بمعنى الموروث الثقافي و الفكري و الديني و الأدبي و الفني و هذا المضمون الذي تحمله هذه الكلمة داخل خطابها المعاصر ملفوفاً في باطنه وجدانية إيديولوجية لم يكن حاضرا لا في خطاب أسلافنا و لا في حق تفكيرهم كما أنه غير حاضر في أي لغة من اللغات الحية المعاصرة التي تستورد منها المصطلحات و المفاهيم يجب أن نتجه باهتمامنا الأن"[3]

إضافة إلى ذلك أنن الجابري يقصد بالتراث العربي الإسلامي على أنه " مجموع العقائد و التشريعات المعبر عنها في لغة تحملها و تؤطرها و المتكونة في عصر التدوين (القرون الثلاثة الأولى للهجرة) و امتداداته التي توقفت أخر تموجاتها مع قيام الإمبراطورية العثمانية في القرن العاشر للهجرة" ([4]) ، أما الطيب تيزيني فيعرف التراث بقوله " إن

[1] محمد عابد الجابري_ التراث والحداثة _ مرجع سابق_ص22
[2]- حسين محمد سليمان – التراث العربي الإسلامي- دراسة تاريخية و مقارنة – ديوان المطبوعات جامعة الجزائر – (د ط) -1988 – ص 13.
[3]- مرجع نفسه ص 14.
[4]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أركون – مرجع سابق ص 90

التراث بأحد أبعاده هو كل حدث أو أثر أو إنتاج إنسان دخل الماضي و أصبح جزءًا منه و ببعده الثاني يبرز التراث باجتياز التاريخ – الماضي – مستمرًا و ممتدًا حتى الحاضر.[1]

بعدما عرضنا أهم مواقف المفكرين حول مفهوم التراث، سنشرع الآن في تحديث مفهوم التراث الإسلامي لدى محمد أركون انطلاقاً من بعض التساؤلات التي في أذهاننا و يلي كالتالي:

هل هناك خلفيات ورائية تجعل من المفكر ينحاز إلى ما في رحلته الفكرية؟ و هل يعتبر المنهج مرآة عاكسة لحياة المفكر و ما مرت به من ظروف و وقائع؟

إن المطلع على السيرة الذاتي لمحمد أركون يدرك أنه قد مر بظروف و مواقف ليس من السهل تجاوزها أو التكيف مع مقتضياتها، لقد أشرنا سابق (في الفصل الأول) أن أركون يحمل عرقا بربريا محاطا بفئة أغلبية ناطقة باللغتين العربية و الفرنسية، و لمتابعته مشواره الدراسي (الطور الثانوي) التحق بإحدى الثانوي مدينة وهران (الغرب الجزائري)، حيث بذل جهد كبيراً في اكتساب اللغتين السابق ذكرهما: و من هنا تكمن الصعوبات لأن مفكرنا تحمل مآسي الرفض وعناء الاحتقار الذي تلقاه من طرف العرب و الفرنسيين الذي يهمشون بقسوة الفئة البربرية.

إن أيام الطفولة و الشباب المليئة بالفقر و الاستعباد قد تركت أثرًا بليغا في وعي و شخصية محمد أركون، و خير المثال على ذلك احتضانه لمنهاج علوم الإنسان و المجتمع خاصة الأنتروبوجيا لكي يكشف عن الممارسات المشحونة بالتهميش التي تتخذها الفئة الغالبة نحو فئة الأقلية المنبوذة، إذن يمكن القول أن كل التهميشات و الإستبعادات التي كان على أركون بمواجهتها قد حددت وجهة و نمط تفكيره حيث عبر عنها هاشم صالح قائلاً إن فكره على مدار تاريخه الطويل يتمثل في تفكيك أنظمة أهيمنة و الاستغلال و النبذ سواء أكانت ذات طبيعة قومية – لغوية أم دينية طائفية إنه فكر مهووس بمسألة الحق و العدالة،

[1]- فارح مسرحي _الحداثة في فكر محمد اركون_ مرجع سابق_ص91

أي الانتصاف لقضية المظلوم المحتقر بسبب شيء لا حيلة له فيه أي بسبب أصله و فصله و مكان ولادته أو لغته و دينه و هذا هبة.... "[1]

إن الحضارة العربية الإسلامية شهدت أرقى مظاهر السمو و الازدهار كمختلف العلوم المعارف، الكتب و القيم الروحية والأخلاقية،.....الخ التي اجتهد في تحقيقها مجموعة من الشخصيات و التي كتب بقلمها التراث العربي الإسلامي العريق، و هذا ما وضحه الجابري في تعريفه للتراث قائلا" .... المقصود بالتراث الإسلامي كما يتحدد داخل الخطاب النهضة العربي الحديث و المعاصر، هو بصورة أساسية العقيدة و الشريعة في اللغة، الأدب، الفن، الكرام الفلسفة و التصوف ....الخ و ذلك قبل عصره الانحطاط،[2]، أما أكون قد كانت له وجهة نظر أخرى حول مفهوم التراث إذ جعل من الدراسات الانتروبولوجية المبدأ الأساسي لتحديد ذلك المفهوم إضافة إلى ذلك أنه يرى بأن هناك ثلاثة طبقات من التراث ليست متراتبة فوق بعضها بعضا، وإنما هي داخلة في حالة تفاعل متبادل داخل ما يدعى بشكل عام و عمومي: التراث الإسلامي"[3] موضحا في ذلك محتوى هذه الطبقات كما يلي:

1) **طبقة المستوى العميق**: و المتمثل بالقاعدة الثقافية و التقاليد الحرفية السابقة بكثير على الإسلام و لكي تدرسها جيدًا ينبغي أن نستخدم منهجية التحري الانتروبولوجي و منهجية التفسير الانتروبولوجية" [4]
2) **طبقة المستوى الصريح المعروف**: في اللغة الخاصة بالحق الذي يقال له الإسلامي لكنه يحيل إلى ضمني معيشي" شديد التعقيد من جزاء علاقاته الأصلية على المستوى العراقي فكل ما يصل بوضع المرأة مثلا، يوضح بالمثل لزوم " ضمني واسع معايش" ممحول يعترف به في الصريح العلوم و من أجل تناول نقدي جديد للحق الإسلامي، تعد دراسة هذا المستوى الثاني فصلاً أخرا حاسمًا في نقد العقل الإسلامي." [5]
3) **طبقة المستوى الثالث**: تتمثل هذه الطبقة في القوانين التشريعية الحديثة التي تتعايش في نفسه مع مستوى الطبقتين السابقتين ضمن ظروف متغيرة بحسب البلدان بدءا من تركيا و

[1]- نايلة أبي نادر: التراث و المنهج بين أكوان والجابر. مرجع سابق. ص 452.
[2]- فارح مسر حي – الحراثة في فكر محمد أركون – مرجع سابق- ص 90.
[3]- مرجع نفسه .ص 91
[4]- محمد أركون – الفكر الإسلامي نقد و اجتهاد – مرجع سابق ص 104.
[5]- محمد أركون _نافذة على الإسلام _ مرجع سابق _ ص 80.

حتى السودان أو الجزيرة العربية أو باكستان أو الجزائر أو تونس ...الخ فمثلا نلاحظ أن إستئصال جزء من الأعضاء الجنس للمرأة لا يزال ممارسا في بعض المناطق السودان بمصر على الرغم من العودة إلى الشريعة، و على الرغم من إدخال التشريعات الأوروبية الحديثة في العدد من الميادين"[1]

و من خلال هذه المستويات السابق ذكرها " يتضح لنا جليا أن ما ندعوه بالتراث ظاهرة معقدة جدًا، لأن الطبقات المشكلة له: تداخلت مع بعضها البعض و شكلت مزيجا معقدًا أو هي تفاعل و تبادل للأدوار و تنافس مستمر، منذ العصر التدشيني أو التأسيسي للإسلام إلى يومنا هذا" [2] إضافة إلى ذلك أن أركون "يستهدف في دراسته الطبقة الثانية أو مستوى التراث الإسلامي المقدس، مستعملا في ذلك كلمة سنة tractition للدلالة على المذهب السني فقط، و إنما على ما يدعوه بالسنة الإسلامية الشاملة أو الكلية، لأنه لا يفضل اتجاههما على أخر، أو فرقة على أخر، فذلك يعتبره خارج مهنة كمؤرخ أو باحث يحاول الكشف عن الحقيقة الموضوعية في التاريخ، عن طريق دراسة المعتقدات و العادات الإسلامية المتوارثة من جيل إلى أخر.[3]

إذن إن التراث الإسلامي عند محمد أركون " هو تراث كلي (سنة – شيعة –خوارج) و هو يشمل بالإضافة إلى التراث المكتوب ، التراث الشفوي أو الشعبي، و التراث الخاص بالأقليات دون بتر أو تمييز أو تهميش مقصود أو غير مقصود."[4]

إن أعلام الفكر العربي المعاصر ذهبوا بجهودهم و مشاريعهم إلى دراسة التراث " بغية إعادة قراءته، و دراسته دراسة أقرب ما تكون إلى الإنصاف و الموضوعية عن طريق دراسة أبعاده المختلفة و العمل على فهمها و تمثلها كل حسب مرجعيته و أدواته المنهجية الخاصة التي يراها مناسبة لإعادة إحياء هذا التراث، دون الوقوع في أسره و غياهب ماضيه."[5]

---

[1]- محمد أركون – الفكر الإسلامي نقد و اجتهاد – مرجع سابق _ ص100

[2]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد اركون – مرجع سابق_ ص93.

[3]- مرجع نفسه – ص 93.

[4]- مرجع نفسه ص94.

[5]- علي أبطاش – مفهوم التراث في الخطاب العربي المعاصر- مؤمنون بلا حدود للدراسات و الابحاث قسم الدين و قضايا المجتمع الراهنة - - (د –ط) – 2015 – ص 19.

يعتبر محمد أركون من بين هؤلاء الذين اجتهدوا في ذلك (إعادة قراءة التراث)، حيث كانت له وجهة نظر خاصة لقراءته المتمثلة في تمييزه لثلاث مستويات من التراث و هي كالآتي:

أولا: التراث الإسلامي المقدس و المثالي، كما تراه كل جماعة (هناك تراث سني، تراث شعبي، تراث خارجي.

ثانيا: التراث الإسلامي بالمعنى الانطولوجي للكلمة الذي يعني كل العادات و التقاليد السابقة على الإسلام و التي استمرت بشكل أو بآخر بعد الإسلام.

ثالثا: التراث الإسلامي الكلي، أو السنة الإسلامية الشاملة و هو المفهوم الذي بلوره أركون و اشتغل عليه لكي يتجاوز مفهوم التراث " المبتور و الباتر" الخاص بكل فئة" .[1]

أما الآن سنتطرق إلى تلك الدلالات التي يحملها كل مستوى من هذه المستويات و تتمثل فيما يلي:

المستوى الأول: مرحلة التأسيس و تثبيت الأشكال الكلاسيكية للتراث:

حسب نظرة أركون " أن الرسائل القرآنية تقدم نفسها و تمارس دورها على هيئة حداثة تقلب كل شيء بالقياس إلى العادات و التقاليد في حين رمي التراث العربي السابق على الإسلام كليا في دائرة الجهل و الفوضى و الظلم و الظلال و الوثنية و القمع و التعسف أي بكلمة أخرى رمي في ظلمات الجاهلية " . أما التراث بالمعنى الكبير للكلمة ، فهو تراث إلهي لا يمكن للبشر أن يغيروا فيه شيئًا إنه عن الحقيقة المطلقة الأبدية"[2]

إضافة إلى ذلك يصرح أركون قائلا " لقد حاول هذا التراث طيلة عشرين عاما من النضال في مكة و المدينة، أن يرسخ نفسه داخل ساحة اجتماعية وثقافية معادية و مضادة، ثم أصبح بعدئذ التراث الإسلامي"،[3] و من هنا يطرح أركون الإشكالية التالية هل ينبغي و الحال كذلك ، مقاربة مفهوم التراث بالمعنى المثالي و المتعالي، استنادًا إلى مفهوم الإسلام بالمعنى المتعالي أيضًا على أن الإسلام يمثل التعبير الأرثوذوكسي " المستقيم" الوحيد عن

[1]- مرجع نفسه .ص3.
[2]- محمد أركون – الفكر الإسلامي قراءة علمية – مرجع سابق – ص 19.
[3]- محمد أركون –الفكر الإسلامي قراءة علمية – مرجع سابق ص 19.

التراث المثالي الذي تلقته الأمة المثالية، أنه ينبغي علينا إعادة تجريد الإسلام بصفة عملية أو (سيرورة) اجتماعية و تاريخية من جملة عمليات و سيرورات أخرى"([1]).

تعتبر المقاربة الأولى" مقاربة تيولوجية تتوافق مع الخطاب الإسلامي الراهن الخاص بحركات المدعوة إسلامي و تتوافق بشكل أعم مع كل الخطاب الاصلاحي أو السلفي . يرى هؤلاء أن الإسلام متضمن كليا في القران بالهيئة التي وضحه علينا الحديث النبوي وفسره (.....) و يرون أيضا أن مجمل العقائد و الممارسات و المعايير الأخلاقية و المؤسسات و المعايير الاجتماعية و القانونية و النصوص الناتجة المعترف بها من قبل الأمة بصفتها التراث الأكبر، و يرون أن كل ذلك يوضح و يمثل الإسلام الذي أراده الله وحده، إن التراث المتعالي الأكبر اذن ليس إلا تجسيد الدين الحق في التاريخ إنه قوة لتقديس الزمكان و تنزيهه الذي تتجلى فيه الأمة "[(2)].

إذن إن مفهوم الإسلام ينبع من تلك السيرورات الاجتماعية و التاريخية المعقدة التي تقبل النقد.

أما المقاربة الثانية أو المسار الثاني " فيعمل على ترك مفهوميه الإسلام و التراث مفتوحين أي غير محددين بشكل نهائي و مغلق لأنهما خاضعتان للتغيير المستمر الذي يفرضه التاريخ ، و عندئذ نستطيع أن ندمج في التحليل كما في الممارسة العملية المحسوسة، الديناموا الروحي للإسلام – التراث، و ندمج تاريخيته أيضا"([3])، و اذا تمعنا جيدًا في هذا المنظور " نجد أن الإسلام لا يكتمل أبدًا بل ينبغي تحديده و تعريفه داخل كل سياق اجتماعي و ثقافي في كل مرحلة تاريخية معينة، و مع ذلك يتضمن الإسلام حسب محمد أركون العناصر التكوينية و الإجبارية الآتية:

- النص القرآني (المصحف)
- مجموعة نصوص الحديث و التشريع العديدة و المختلفة
- الفرائض القانونية الخمس و الشعائر اللازمة لتأديتها

[1]- المرجع نفسه – ص19.
[2]- المرجع نفسه – ص 20.
[3]- على أبطاش – مفهوم التراث في الخطاب العربي المعاصر – ص 04.

- الديناموا الروحي * المشترك لدا كل المؤمنين و الذي يشكل خاصية مميزة للتراث[1]

و في الأخير نستخلص أن ترسيخ هذه العناصر يتطلب وقتا طويلا و هذا ما يدعوه أركون السيرورة الاجتماعية لتشكل التراث .

المستوى الثاني : التراث و التراثيات في المجال الإسلامي:

من الواضح أنه "لا يوجد إسلام واحد (الإسلام الذي أراده الله كدين وحيد لكل البشر) فانه لا يمكن أن يوجد إلا تراث وحيد سنة وحيدة يعبر بدقة و اخلاص عن هذا الاسلام و يرسخه أبديًا، هذا هو المزعم الثابت و الدائم للأرثوذوكسية السنية كما الشيعية كما الخارجية"[2].

وعليه فإن " محمد أركون يعدد المسلمات التي تقبع خلف هذا الكلام، و التي سيطرت على هذه الأرثوذوكسيات حتى اليوم كما يأتي:

1/ إن انقسامات البشر لا مرد منها

2/ الحقيقة المطلقة واحدة لا تتجزأ تمامًا كالرسالة الإلهية نفسها، و كالجماعية الواحدة التي تكفل بها، تنشرها لذلك لا يمكن أن يوجد إلا دين واحد (أي تراث واحد).

3/ إن صحابة النبي يمثلون جيل الأول من أمة روحية تتوالد من خلال التقيد الصارم بالتراث المتلقي.

4/ أن يكون المرء معاصرًا"([3])

إضافة إلى ذلك قد حاول محمد أركون " أن يقارن بين أهم أرثوذوكسيتين انتصرتا في التراث الإسلامي، و هما الأرثوذوكسية السنة، و الأرثوذوكسية الشيعية، و يعدد محمد أركون خصائص كل واحدة منها، مقارنة بينهما ليثبت أن كل الأرثوذوكسية تدعي الإسلام الحق،

* - الديناموا الروحي: أي القوة الحيوية المحركة ، في الواقع أن هذه الكلمة تعني مجموعة التصورات الأخلاقية و الروحية التي تشكل القوة الداخلية لوعي فئة اجتماعية معينة (انظر): محمد أركون – الفكر الإسلامي قراءة علمية- هوامش- مرجع سابق – ص 21.

[1]- على أبطاش – مفهوم التراث في الخطاب العربي المعاصر- مرجع سابق ص 05.

[2]- محمد أركون – الفكر الإسلامي قراءة علمية مرجع سابق – ص 25.

[3]- على أبطاش – مفهوم التراث في الخطاب العربي المعاصر- مرجع سابق ص 07.

ليضيف تلك لانقسامات و التفرقات لكل مذهب، معددًا مذاهب السنة المنقسمة (المذهب الحنفي) بين أهل الرأي (المذهب الحنفي) ، و أهل الحديث (المذهب الحنبلي)، تم التواطؤ الذي حدث في عصر التقليد و الإتباع بين التراث السني خاصة و بين السلطة السياسية"[1]

المستوى الثالث: التراث السني الكامل أو السنة الاسلامية الشاملة:

لكي نبلور مفهوم التراث الإسلامي يدعونا أركون " إلى تعرية الوظائف الإيديولوجي و التلاعبات المعنوية و الإنقطاعات الثقافية و التناقضات العقلية التي تساهم في نزع الشرعية عما كان متطورًا و معاشًا طيلة القرون و قرون بمثابة أنه التعبير الموثوق عن الادارة الالهية المتجلية في الوحي "فإن نتأمل في التراث الاسلامي، أو تفكر فيه، يعني أن نحترق و ننتهك المحرمات و الممنوعات السائدة أساس و الرقابة الاجتماعية التي تريد أن تبقى في دائرة المستحيل التفكير فيه كل الأسئلة التي طرحت في المرحلة الأولية و البدائية للإسلام ثم سكرت و أغلق عليها بالرتاج، منذ أن انتصرت الأرثوذوكسية الرسمية المستمدة على النصوص الكلاسيكية."([2])

و من أجل تأويل التراث الإسلامي تأويلاً ايجابيا سيعتمد أركون على جملة من المقاربات النقدية التي تساعد على التأمل في التراث و التفكير فيه و هي كالتالي:

1) المقاربة السينمائية الألسنية.
2) المقاربة التاريخية، الأنتروبولوجية و السوسيولوجية.
3) المقاربة التيولوجية
4) المقاربة الفلسفية.

إن هذه المقاربات التي قام بها أركون قد تطرقنا إلى الكشف عن دلالاتها في العمل السابق (المبحث الثاني من الفصل الثاني) و التي جعلت من المنهج الأركوني منهجا متماسكا منفتحا حاضنا لمناهج الغرب، كما ساهم في تخطي تغيرات الأوائل في مختلف الدراسات الإسلامية.

[1]- مرجع نفسه ص 07.
[2]- محمد أركون الفكر الإسلامي – قراءة علمية – مرجع سابق ص 24.

بعدما تعرضنا على مفهوم التراث عند محمد أركون، نستخلص أنه يستخدم في دراساته للتراث أحداث ما جاءت عن مناهج علوم الإنسان و المجتمع (الأنتروبولوجيا) محاولة منه في محو ظاهرة الاستعباد و التهميش التي عاشها و تكبّد معاناتها، و بالتالي قد تمكنا من الإجابة عن التساؤلات السابقة.

أما من ناحية قراءته للتراث فهو يرفض تمامًا تقديم "قراءة أحادية الجاني بل يدخل إلى النص من زوايا متعددة اعترافا منه بعناة و باتساع دائرة المسكوت فيه كما يعمل على أساس أن الحقيقة التي يبحث فيها هي متعددة بحد ذاتها، لذلك يمكن مقاربتها من مستويا مختلفة" ([1]).

المبحث الثاني: الحداثة و التحديث

حرس الغرب الأوروبي على إيجاد الحداثة بغية الخروج من طغيان و ظلمات العصر الوسيط الذي غاب عن أوساطه معنى الحرية و الانفتاح، و يقصدبها كذلك تلك التحولات الفكرية و العلمية التي جعلت من الحضارة الأوروبية سامية،أما الأمة الأخرى قد كان لها الدور كذلك في القيام بتغيرات جذرية من أجل بلوغ الحداثة، و منها الأمة العربية الإسلامية التي عملت على تحقيق ذلك، أما الآن ستقوم بالتعرف على ما تحمله هذه الآلية.

1) مفهوم الحداثة: Modennite

1- **لغة**: كلمة حداثة في اللغة العربية مشتقة " من جذور(ح- د- ث) و حدث الشيء يحدث حدوثًا و حداثة، فهو محدث و حديث ، و حدث الأمر وقع و حصل ، و أحدث الشيء أو أوجده و المحدث هو الجديد من الأشياء"[(2)] و عليه "فالحداثة في اللغة العربية ترادف الجد هو التجديد"[(3)]

أما في اللغة الفرنسية " كلمة حديث Moderneمشتقة من لفظة Modernrs و التي ظهرت في القرن السادس، هذا اللفظ استعمل بكثير من القرن العاشر في المساجلا ت

[1]- نايلة أبي نار التراث و المنهج بين أركون و الجابري، مرجع السابق – ص 457.
[2]- ابن منظور – لسان العرب، مج، دار بيروت للطباعة و النشر، لبنان، 1955 ص 131.
[3]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أركون – مرجع سابق ص 20.

الفلسفية و الدينية و يكاد يستعمل بمعنى انفتاح و حرية فكرية، و معرفة أحداث الوقائع أو أحداث الأفكار، و غياب الكسل"[1]

لم يأخذ لفظ حداثة Modernite " معناه و دلالاته إلا في القرن 19 م، و قد ارتبط بأعمال 'شارل بودلير' الذي يعتبر أغلب الدارسين أبًا للحاثيين لأنه أول من حاول تقديم صياغة نظرية للحداثة " [4] فالحداثة عنده هي المؤقت و العابر، و هي الجمال الموجود في الموضة التي تتغير في كل فصل من الفصول" [2]

إن الحداثة عند بودلير نجدها مرتبطة و متعلقة بالأدب و المسائل الفنية، و بالتالي يمكننا التساؤل : ما المقصود بالحداثة من الجانب الفلسفي؟

2) مفهوم الحداثة في الاصطلاح الفلسفي:

تعتبر الحداثة مفهوما معقدا يصعب الوصول إلى ضبطه، كما اختلف العديد من المفكرين حول تحديد طبيعته و مكوناته لذلك سنأخذ بعين الاعتبار بعض النماذج التي اجتهدت في ضبط هذا المفهوم (الحداثة).

يرى جون بوديار أن الحداثة " ليست مفهوماً سوسيولوجيا أو سياسيا أو تاريخيا يحصر المعنى و إنما هي الصيغة المميزة للحضارة، تعارض صيغة التقليد أي أنها تعارض جميع السابقة و التقليدية، فأمام التنوع الجغرافي و الرمزي لهذه الثقافات تفرض هذا المفهوم إجمالا الإشارة إلى التطور التاريخي بأكمله و إلى تبديل في الذهنية " [3]

إن هذا المفهوم إن لم يحدد لنا الحداثة بصورة دقيقة فإن حدد لنا الملامح و السمات العامة لها، و تكمن في:

أولاً: تتصف بالشمولية و ليست محصور و محدودة بين جانبين حياة أو الفكري لأن " الحداثة مفهوم حضاري شمولي يطال بكافة المستويات الوجود الإنساني" ([4])

[1]- ندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفة ، مج ح ، منشورات عويدات – بيروت – باريس – ط 2 2001 – ص 21.
[2]- مرجع نفسه – صفحة نفسها .
[3]- جون بوديار، نقلا عن فارح مسحي، الحداثة في فكر محمد أركون – مرجع السابق ص 21.
[4]- محمد سبيلا – الحداثة و ما بعد الحداثة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط (1) 2000، ص 07.

ثانيا: الحداثة تقابل التقليد، فهي " في جوهرها عملية انتقالية تشتمل على التحول من نمط المعرفي إلى نمط معرفي أخر، يختلف عنه جذريا و هي انقطاع عن الطرف تقليدية لفهم الواقع و إحلال أنماك فكرية جديدة." [1]

ثالثا:تمتاز الحداثة أنها مرتبطة بالتاريخ الأوروبي في نشأتها أو في تطورها، و هذا ما

أكده هشام شرابي: ارتباط الحداثة بالمسار التاريخي للمجتمعات الأوروبية، معتبراً إياها ظاهرة تتميز بأوربيتها (....) و هي محصلة عملية تاريخية بدأت في أوربا منذ النهضة و الإصلاح، إذن من هذا المنعرج يتبين لنا أن كافة التطورات الحضارية التي شهدتها المجتمعات الغربية في منتصف القرن 19 م تحققت بفعل الحداثة و التي شملت مختلف المجالات الفكرية، السياسية، الاقتصادية، الدينية..... الخ.

رابعاً تمتاز الحداثة أنها وحدة تنير العالم بأسره لأن العالم في حاجة دائمة إلى تطورات التكنولوجيا و غيرها التي رسمت لنفسها فضاءًا لا يمكن ايقافه.

خامسًا: يقول أحد الباحثين " أهم سمات الحداثة هي ببساطة قدرتها الكامنة على تصحيح نفسها (. . .) و قدرتها على النضج الذاتي و مواجهة مشكلات لم تكن نخطر بالبال وفقا لبرنامجها الأصلي "[2] إذن تمتاز الحداثة بالقدرة على نقد ذاتها، و تحديد نقائصها و أخطائها، كما تسعى إلى تجاوزها و تخطيها.

إن الفكر الغربي قد شهد ثورة فكرية تسعى إلى رفض و تعديل الأطر و الأسس التي تقف عليها الحداثة، و تدعى هذه الثورة أو الحركة بما بعد الحداثةpost . modernisne .

و بالتالي يمكن القول أن الحداثة عبارة عن مساعي لبلوغ " قيم جديدة قيم بديلة لقيم التقليد المتوارثة، و قيم العقل الذهني، حيث فجرت مغامرة البحث الإنساني" [3]

[1]- فارح المسرحي – الحداثة في فكر محمد أركون – مرجع السابق ص 22.
[2]- مرجع نفسه- ص 23.
[3]- كمال عبد اللطيف، أسئلة الحداثة في الفكر الغربي، من ادراك الفارق إلى وحي الذات، الت العربة بيروت ط 1 – (2004 – ص 18.
* هابرماس يوركن من بين نقاد الانجليز المعاصربن عاش مابين (1921 – 1988) من أعماله الثقافة و المجتمع، منابع الأصل،الديمقراطية.

أ) **تعريف الحداثة عند المفكرين الغرب**:

هابرماس *: هي "مشروع ولده جهد غير عادي من جانب مفكر التنوير" [1]

بودلير: إن الحداثة هي المؤقت و السريع الزوال و الجائز، هي نصف الفن، بينما الأبدي و الثابت هو النصف الأخر.

ب) تعريف الحداثة عند المفكرين العرب

محمد عابد الجابري: يقول الجابري في تصوره للحداثة بأنها " ليست هناك حداثة مطلقة، كلية و عالمية، و إنما هناك حدثات تختلف من وقت لأخر، و من مكان لأخر و بعبارة الأخر الحداثة ظاهرة تاريخية (. ..) فالحداثة في أوربا غيرها في الصين، غيرها في اليابان ....ففي أوربا يتحدثون اليوم عن (ما بعد الحداثة) باختيار أن الحداثة ظاهرة انتقلت مع نهاية القرن التاسع عشر بوصفها مرحلة تاريخية قامت في أعقاب عصر (القرن الثامن عشر هذا العصر الذي جاء هو نفسه في أعقاب عصر (القرن السادس عشر) ... الحداثة ليست من أجل ذاتها بل هي دومًا من أجل غيرها، من أجل عموم الثقافة التي تنبثق منها الحداثة من أجل الحداثة لا معنى لها، الحداثة رسالة و نزوع من أجل التحديث"([2])

حسن حنفي*: يرى حنفي أن الحداثة قد تعني " اتباع أساليب العصر، و مناهج في تحليل التراث .... و قد تعني التحديث، و هو تطوير للتراث من داخله طبقا لحديثين مجددين "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه لأمة من يحدد لها دينها، فالحداثة لا تعني الغرب بالضرورة، و إنما تعني قدرة التراث على أن يجتهد طبقا لظروف العصر"[3]

إضافة إلى ذلك يرى الحنفي أنه من الظلم أن يستولى الغرب وحده على الحداثة فذلك ليس بالضرورة

كانت هذه بعض وجهات نظر و تعريفات حول مفهوم الحداثة سواءًا من طرف مفكرين غرب أو مفكرين عرب، أما الأن سنذهب إلى تسليط الضوء على مفهوم الحداثة عند مفكرنا محمد أركون.

---

[1]- نقدا عن ياسين أحمد طه – اعدا ء الحداثة، دار الواعي ، السعودية، ط (1)، 1434 هـ - ص 18.

[2]- نقلا عن علي رحوبة سحنون _اشكالية التراث و الحداثة في فكر العربي المعاصر محمد عابد الجابري – وجس حنفي، مثلث المعارف- مفرد (ط)، 2007 ص 32.

* حسين حنفي: مفكر مصري ولد عام 1935، درس الفلسفة في جامعة القاهرة و السوربون (فرنسا) أهم كتبه (التراث و التجديد، مقدمة

[3]- مرجع نفسه – ص 34.

مفهوم الحداثة في فكر محمد أركون:

يرفض أركون أن مسألة الحداثة خاصية غربية فقط، فهي تميز القديم عن الجديد عبر مختلف العصور و الحضارات التي عرفتها البشرية، فهي أن الحداثة " ليست المعاصرة فقد يحاصرنا اشخاص علاقة لهم بالحادثة والعصر و اناس ينتمون عقليا بالمرحلة القرون الوسطـــى و قد توجـــد القرون السابقة شخصيات تمثل الحادثة "([1]) كما الخ كذلك على ضرورة القيام مسافة التفاوت التاريخي الشاسع بين المجتمعات الإسلامية و المجتمعات الأوروبية لانه قد زاد هذا التفاوت التاريخي إلى درجة انه عزل المجتمعات الإسلامية و حشرها داخل دائرة وجوده علاقة لها بالمجتمعات الاوروبية او بالحادثة الاوروبية" [(2)] لقد عرفها كذلك على انها موقف فعلي و توتر روحي معين يتسم بالحيوية الفكرية و الانفتاح الثقافي (النزعة الفكرية)"[(3)] ال

ان اركون يستوجب ان الحداثة ضرورية للمسلمين إذا أرادوا البقاء و المشاركة الفعالة في صناعات الحاضر و المستقبل، و انطلاقا من ادراكه و وعيه بوعورة الطريق الحداثة و التحديث فإنه حريص على الحفر في كل الاتجاهات بافتتاح العديد من الورشات لتوضيح الرؤية، و تبيان المنهج على دخول عالم الحداثة، مقدمًا بذلك مجموعة من آليات التي يعتقد أنها سبيل لذلك" [(4)]

إذ يمكن القول بأن الحداثة ليست غاية يصعب على المجتمعات العربية الإسلامية بلوغها من أجل تجاوز الانغلاقات التي رسمت ذلك التفاوت الهائل بين المجتمعات الغربية و الإسلامية.

السياق التاريخي لمفهوم الحداثة الغربية:

إن الضغط الدقيق للسياق التاريخي للحداثة أمر فيه صعوبة و خير مثال تعدد التعريفات لها، و تضارب الآراء و المواقف حولها، إلا أن بذل الجهود في تحقيق ذلك أمر لم يتوقف " حيث يميز أغلب المؤرخين بين الأزمنة الحديثة و العصور الوسطى، انطلاقا من حوادث تاريخية مهمة كسقوط القسطنطنية سنة 1453 م، و اكتشاف القارة الأمريكية سنة 1942 م

[1]- ضمن عبد الله بن عبد العالي ، محمد سيلا – الحداثة دفاتر فلسفة، دار توبقال، ط (1) ،1996، ض 106.
[2]- محمد أركون ، قضايا في نقد العقل الديني – كيف نتهم الاسلام اليوم، مرجع سابق، ص 102.
[3]- ضمن محمد سيلا – عبد العالي، مرجع سابق ص 106.
[4]- فارح مسرحي – الحداثة – فكرة محمد أركون – مرجع سابق ص183.

ففي هذه الفترة بدأ انتقال المجتمعات الأوروبية من العصور الوسطى و يبدأ تشكل الحداثة، الذي دام أزيد من ثلاثة قرون و مر عبر العديد من المفاصل الإستراتيجية أهمها النهضة في ايطاليا، الاصلاح الدين في ألمانيا، الثورة العلمية الفلك خاصة، الثورة الصناعية في انجليترا و الثورة الفرنسية "[1]

و للتطلع أكثر على تلك الجوانب التاريخية و ما مرّبها ينبغي ابراز بعض الملامح الأساسية لعصري النهضة و التنوير. فما المقصود بعصر النهضة و التنوير؟ و الخصائص التي تميز بها كل منهما؟

أ)**الملامح الأساسية لعصر النهضة و الإصلاح الديني:** " يستعمل مصطلح النهضة Renaissance في تاريخ الفلسفة للإشارة إلى المذاهب الاجتماعية و الفلسفية، التي ظهرت في أوربا – بصفة مبدئية في ايطاليا خلال فترت انهيار لانقطاع و قيام المجتمع البرجوازي الأول في القرن 15 م " [2] كما أن النهضة الأوربية قد عرفت ظهور حركتين فكريتين متكاملتان و هما النزعة الانسانية و النشأة العلوم الطبيعية اللتان تعتبران بديل لوجهة النظراللاهوتية في فهم الإنسان و العالم.

لقد كان للحقيقة الزمنية (1400 – 1600) " تأثيراً واسعاً في الفن و العمارة و التكوين العقل الحديث و العودة إلى المثل العليا و الأنماط الكلاسيكية ذلك أن كتاب النهضة كانوا يسمون حركتهم باسم الاحياء Restounation الذي قصدوا به احياء التراث اليوناني القديم كما عملت حركتهم الفكرية على تمجيد قيم الإنسان و اعلان حريته " [3] . وهنا أصبح يطلق على مفكر عصر النهضة لقب الإنسانيين أوالإنسانيون Humaniste الذين كان لهم الدور الأساسي و الفعال في حضارة عصر النهضة، حيث ينادون دائماً بالمبادئ الإنسانية كالرفع من قيمة الفرد، باعتبار الإنسان جوهر فريد من نوعها و عظيمة الشأن تستحق بجدارة كل ذلك الأهمية، و الهدف من وراء هذا الاهتمام هو تحرير من قيود اللاهوتية و مفهومه التقليدي المنطوي على نظرة فوق تاريخ الإنسان بالانتقال التدريجي

[1]- فارح مسرحي (الحداثة في فكر محمد أركون – مرجع سابق ص 26.
[2]- م. روزنتال – بيودين: الموسوعة الفلسفية ت . سيركرم، دار الطليحة للطباعة و النشر بيروت، بيروت ط 5- 1985، ص 552.
[3]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أركون – مرجع سابق ص 26.

من مفهوم المسيحي عن الإنسان ككائن روحي منفتح على العالم الأخر إلى الإنسان ككائن حي متطور، سيمته الأساسية أنه كائن رغبة و دوافع غريزية" ([1])

لقد شهد الميدان العلمي ثورة فكرية كوبرنيكس باعلانه لنظرية مركزية الشمس عوض المركزية الأرض للكون، حيث أحدثت هذه الثورة تحولا أوليًا في تصور الأوربيين للكون لأنها غيرت الكثير من التصورات و النظريات العلمية.

تعتبر حركة الإصلاح الديني ثورة بدأت في ألمانيا بزعامة مارتن لوثر* ثم شملت بعد ذلك عددا من البلدان الأوربية " لقد كانت حركة مناهضة للكاثوليكية و عملت على التقليل من قيمة الكنيسة و الرفع من قيمة الإيمان الشخصي الداخلي فوق المظاهر الخارجية للدين " ([2]) كما أنكر لوثر أن تكون الكنيسة و رجال الدين وسط علاقة الإنسان بالله أي رفضه تماما المسألة صكوك الغفران، كما ألح على ضرورة خضوع كل لإنسان إلى الكتاب المقدس، و قد نجم هن حركة الإصلاح الديني ظهور المذهب البرتستانتي protastatisn eوم التحرير من الفكر الدوغمائي المباشر في الكنيسة الكاثوليكية .

و بعد تطلع على ملامح عصر النهضة، يمكن القول أن مجمل الحركات الفكرية التي شهدها ذلك العصر (النهضة) هي بمثابة قطيعة تفصلنا عن كل ما هو تقليدي و تقودنا إلى ما يسمى بعصر التنوير.

ب) الملامح الأساسية لعصر التنوير:

إن المجتمعات الأوربية قد دخلت مرحلة جديدة من تاريخها و هي الخوض في مسارات الحداثة خلال القرن 17 و 18 م على يد مجموعة من الفلاسفة الذين قاموا بحركات فكرية انتهت بانجازات هامة جعلت من المجتمعات الأوربية مواكبة للحداثة و السؤال المطروح

- ما المقصود بالتنوير؟
- و ما هي أهم الانجازات التي أحدثها فلاسفة الأنوار؟

[1]- فارح مسرحي_الحداثة ___ في فكر محمد اركون _مرجع سابق_ص28
[2]- مرجع سابق_ص32

تميز القرن 17 بميزتين أساسيتين تكمن الأولى في ظهور المنهج التجريبي على يد فرانسيس بيكون * الذي انتقد المنطق الأرسطي و عمد إلى التنظير بما يسمى " الأورغانون الجديد" أما الميزة الثانية تجلت في تأسيس المنهج العقلي على يد رونيه ديكارت من خلال كتابه المسمى بـ " مقالة في الطريق".

لقد عمل بيكون على تحرير الفكر البشري من التقليد الأفلاطونية و الأرسطية عن طريق المنهج الإسقراطي الذي وضع له صورة كاملة، كما يقف كذلك هذا المنهج على كل الملاحظات و التجربة الذي امتد إلى دافيد هيوم، جون لوك و جون ستيوارت ميل و آخرون الذين بفضلهم ازدهر عصر التنوير.

أما ديكارت مجّد العقل و جعل من سؤال المعرفي كيف أعرف محورا أساسياً لفلسفة الذي أجاب عنه في كتابه مقالة في الطريقة أو مقال الطريقة الذي بين لنا من خلاله قواعد المنهج العقلي، إضافة إلى ذلك قدم أصبح الكثير من المفكرين يعتنقون الديكارتية و عملوا على نشرها، كما أصبحوا يؤمنون بإمكانيات العقل وجدارته في بلوغ الحقيقة . و لما لا يصبح معيار أولي للحياة الإنسانية، إن ديكارت يلقب بأبو الفلسفة الحديثة ، حيث يسعى دائما في أعماله إلى " نقل المعرفة و موضوعاتها من الكونيات الإلهية إلى الفيزياء، و من نظام العلل الأولى إلى أنظمة الميكانيكا (....) و التخلي عن النظر بعين الله إلى العالم".

لقد سار على خطى ديكارت العديد من الفلاسفة فيما بعد أمثال مالبرانش ، ليبنتز، سبينوزا و غيرهم، فقد كان الفكر السائد في الحداثة الوليدة هو فكر ديكارت، لأنه فارس العقلانية و لكن لأنه جعل الحداثة تسير على قدمين واثقتين إذ حرر ديكات نفسه من عالم الأحاسيس و الأراء الخادعة التي لا تسمح له بالصعود من الوقائع إلى الأفكار لإكتشاف نظام العالم" ([1])

إن الأفكار الفلسفية التي جاء بها بيكون و ديكارت قد كانت العامل الأساسي في بزوغ القرن 18 يشير التنوير أو فلسفة الأنوار la philosophie des lumiennes إلى الحركة الفلسفية التي ازدهرت في أوربا أثناء القرن المتميز ببروز فكرة النقد و بتحدي

[1]- فارح مسرحي - الحداثة في فكر محمد أكون – مرجع السابق ص 32.

التقليد و السلطة و الدعوة للإيمان بالعقل، و بالآثار التهذيبية للتعليم و بالدعوة إلى التفكير و إلى الحكم ذاتيا على الأمور." [1]

و جاءت هذه الحركة نتيجة عوامل مختلفة مثل الصراعات الدينية التي عاشها القرن 16 و 17 م .

لقد عبر الفيلسوف الألماني ايمانويل كانط (1724 -1804) بأن التنوير " هو خروج الإنسان من حال كونه قاصرًا و تعني هذه الحالة أنه عاجز عن استعمال ذهنه دون الاستعانة بالآخرين، و هو المسؤول عنها لأن سببها ليس في الذهن، بل نقص في اخذ القرار و نقص في الشجاعة، فكن شجاعـا و استعمل ذهنك هذا هو رصيد الأنوار "، [2] و نستخلص من هذا النص أن التنوير مشروع ينادي بالعقلانية، و يعمل على ازاحة كل من يقف في وجه التفكير العقلاني كالسلطات الدينية، سياسية أو معرفية.

إن الفلسفة التنويرية دارت حول موضوعين أساسيين و هما كما يلي:

الموضوع الأول: يتجلى هذا الموضوع في بروز نظريات العقد الاجتماعي على يد كل من دافيد هيوم – جون لوك – توماس هو بز – جون جاك روسو.

الموضوع الثاني: و يشمل نظرية المعرفة خاصة ما جاء به كل من بيركلي (1685 – 1753) و دافيد هيوم وصولاً إلى أعمال ايمانويل كانط صاحب النزعة النقدية التي تعتبر بمثابة نقطة تحول في تاريخ الفلسفة، كما يعد من أبرز فلاسفة التنوير.

ان عصر التنوير شهد تحولات علمية و صناعية كبرى فجر أهلها ثورة فكرية حادة شملت مختلف الميادين الفيزياء، الفلك و الرياضيات، بالإضافة إلى بناء أنساق معرفية حديثة في الفلسفة.

أما نهاية القرنين اتسمت بقيام الثورة الفرنسية القائمة على الدستور و حقوق الإنسان، بالإضافة إلى التطور الكبير في وسائل النقل و الاتصال.

[1]- اندري لالا ند الموسوعة الفلسفة – ص 759.
[2]- فارح مسرحي- الحداثة في فكر- محمد أكون – مرجع السابق ص 33.

إذن يمكن القول أن السياق التاريخي للحداثة حافل بالمواقف المصيرية و بالانجازات الهامة التي أحدثها أهل الاختصاص المتمثلة في الأفكار و الأنماط الجديدة النابعة عن رواد عصر النهضة و عصر التنوير، هذان العصران اللذان قاما بتغيير جذري للأوضاع في أوربا و إدخالها عالم الحداثة و تحريرها من المعتقدات التقليدية التي سادت أن ذاك.

فلو لا هؤلاء (فلاسفة عصر النهضة و عصر التنوير) لما وصلت أوربا تفشي مظاهر الحداثة في كافة الميادين المعرفية، السياسية، الاجتماعية ..... الخ

3) مقومات الفلسفة للحداثة:

بعد عرض التعاريف المختلفة حول مفهوم الحداثة و بعد تبيان السياق التاريخي لها يمكننا استخلاص المقومات الفلسفية التي كونت مبدأها و أثبتت وجودها، فما هي تلك المقومات التي تقف عليها الحداثة؟

1- **الذاتية** : تركز الحداثة على مبدأ إعادة الاعتبار للإنسان و انتصار ذاته بعد ما كانت مقيدة و مسجونة بين نطاق سلطة المقدسة، و هذا ما شهدت القون الوسطى أي هيمنة الكنيسة و استوائها على خاصية إصدار الأحكام و المعارف ذات الطابع الميتافيزيقي الذي سلب الإنسان الحرية في التفكير و بلوغ درجات المعرفة، إلا أن الحداثة عمدت على التحرر من تلك الأغلال و الخروج من الظلمات التي زرعتها الكنيسة، برز فكر ديكارت " أصبح الإنسان يستمد يقينياته من ذاته و ليس كما في العصور الوسطى و الثورة الأساسية في الفلسفة الحديثة تتمثل في نظرتها إلى الإنسان كذلك هي مقر و مرجع الحقيقة و اليقين لكل شيء (....) أي تنصيب الإنسان ككائن مستقل واع، فاعل و مالك للحقيقة " [1] إن الذاتية رسخت في الانسان مبدأ لإرادة المعرفية أي حب البحث و التفكير مختلف ميادين الحياة بوضعه لنظم و قيم جديدة.

2- **العقلانية**: تعتبر العقلانية أحد المقومات الأساسية التي ترتكز عليها الحداثة " فلا ثقة إلا بالعقل بمعنى أن الاختبار غير ممكن إلا لفكر يسلك عقلا (...) فالعقلانية على الإقرار بأولية العقل و بأن المعرفة تنشأ عن مبادئ العقلية القبلية و الضرورية لا عن التجارب

[1]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أكون – مرجع السابق ص 38.

الحسية، فالعقلانية اتجاه إلى الإيمان بقدرة العقل في الاستدلال و الرهان مع الاكتفاء به و تحكيمه في كل شيء ، فهي بوجه عام مفهوم يقول بسلطان العقل و يرد الأشياء المعقولة."[1] كما ترتب عن الإيمان مبدأ العقلانية ما يلي:

2-1.) عقلنة الفكر العلمي: أي جعل العلم مستقلا عن المعتقدات و التطورات الدينية و الإيديولوجية و السياسية، و الاعتماد على البرهنة و التجريب حتى في الفلسفة و هذا ما دعي إليه هيجل بتقريب العلم من الفلسفة و جعله قدوة لها لكي تبلغ الحقيقة بجدارة.

2-2.) عقلنة الفكر السياسي: تسعى هذه العقلنة إلى و ضع نقطتين للانفصال و هما

- الانفصال عن ميتافيزيقا التفكير في تدبير شؤون الدولة و اعتبار الظاهرة السياسية كواقع يجب تحليله و فهمه، لاستخراج قواعد عامة ممارسة السياسة."[2]
- الانفصال عن الايديولوجيا الدينية، أي العمل على ابعاد الأمور السياسية و الاجتماعية عن الظاهرة المتعالية أي (الدين) و هذا ما حققته الدولة ذات الطابع العلماني القائم على الأطر الوضعية التي وضعها فلاسفة العقد الاجتماعي، و فلاسفة عصر التنوير المتمثلة في: الحرية المساواة،العقل، المواطنة .....الخ.

2-3.) **عقلنة القول التاريخي**: و يتم عبر " تجاوز الأطروحة المسيحية حول التاريخ التي تجعل بدايته مولد المسيح و صلبه، و نهايته تتم بعودة المسيح، " و تبني نظرة جديدة للتاريخ تعتمد أساسا على مقولة الخبر و المنطقية" أي العمل على تجاوز الفكر التقليدي من أجل فهم الحاضر.

2-4.) **عقلنة القول الديني:** و المقصود منها العمل على " قراءة النص الديني و فهمه عقليا، و تفسيره من خلال معطيات العصر فالعقلنة في المجال الديني تعني التدخل في جميع مستويات بدقة لإصلاحه و الابتعاد عن طريق المعرفة و الغرطسة و التسلط " ([3]) و هذا ما دعى إليه فلاسفة التنوير إلى المطالبة بحق الإنسان في التفكير بالمسائل الدينية بحرية.

---

[1]- فارح مسرحي _ الحداثة في فكر محمد اركون _مرجع سابق _ص

[2]- مرجع نفسه _ ص 41

[3]- مرجع نفسه_ ص 42

4) **العدمية**: و يقصد بها التصديق الجازم بعدم وجود المطلقية للأشياء، و يعتبر نيتشه القيم صاحب مبدأ العدمية و يقصد بها " لا قيمة للقيم "فهو منافي للمبادئ و القيم التي كانت ثابتة و راسخة في الماضي لأن في نظره الحقائق المجرة أوهام ، ففي السابق كانت الميتافيزيقا قد طغت على كافة أنماط الحياة لذا يجب تجاوز الأمور التي تحمل الطابع الميتافيزيقي و منها القيم.

من خلال ما سبق ذكره عن مقومات الحداثة نستخلص " أنها من وجهة النظر الفلسفية يقوم على الرؤية الذاتية للوجود، و نزعة العقلية و المعرفة و القول بالعدمية و النسبية في مجال القيم" [1]

5) مستويات الحداثة و أنماطها:

تعتبر الحداثة بمثابة ..... عن كل ما هو تقليدي في كافة مجالات الحياة سواءً في المجال السياسي، و الاقتصادي و الاجتماعي لذلك سنعمل على البحث في التغيرات الجذرية التي أحدثتها في مختلف مستويات الحياة، و هي كالاتي:

أ) **المستوى السياسي:** " مرتبطة بخصوصية الدولة الحديثة القائمة على القانون و المؤسسات القانونية و المتكونة من مواطنين أحرار لهم حقوق، خاصة حق المواطنة و حق الملكية و حق التعبير، و عليهم واجبات خاصة احترام و طاعة القانون " [2] كما تمنح للمواطنين حرية التعرف باختيار حكامهم، بل تزرع في أنفسهم مبادئ الوعي و الانتماء للمجتمع السياسي و يتلخص كل هذا تحت إطار الديمقراطية.

ب) **المستوى الاقتصادي:** تتمثل الحداثة في الصعيد الاقتصادي في ظهور الملكية الخاصة و استقلال المؤسسات الاقتصادية، حيث أصبح الإنسان سيطرة على الطبيعة و قوى الإنتاج لأن الإنسان في الماضي لم يتمتع مطلقا بهذه الحرية، فهو دائمة خاضع لمنظومات مغلقة مهيمنة تكبح دائما إبداعه.

[1]- فارح مسرحي _الحداثة في فكر محمد اركون _مرجع سابق – ص 43.
[2]- مرجع نفسه – ص 44.

ج) **المستوى الاجتماعي و الأخلاقي**: تتجلى الحداثة في هاذين المستويين من خلال مجموعة القيم و العلاقات الاجتماعية التي تسود المجتمع الحداثي، و من هنا يتجلى الفرق بين المجتمعات القديمة و المجتمعات الحديثة، حيث كانت الأولى تابعة و خاضعة لأطراف متشددة مغلقة، بينما الثانية تتغنى بالقيم المنفتحة المحبة للتغيير و الحرية.

إن هذه المستويات تعتبر قاعدة أساسية أي تركز عليها الحداثة فبفضلها استطاع الفرد أن يبني مجتمع قويم العماد.

2/ أنماط الحداثة:

إن الحداثة نمطين ينبغي التمييز بينهما و يكمنا في الحداثة المادية و الحداثة العقلية كما أن هذه المسألة قد حضيت باهتمام كبير من قبل محمد أكون " حيث يعتبر الأولى على أنها ليست أكثر من إدخال التقنية و استيراد الآلات و تحسين طرق الإنتاج" [1] و هذا ما ينطبق فعلا على المجتمعات العربية الإسلامية التي شهدت ما يسمى الحداثة المادية، دون إن يطرأ عليها تغيير ملموس في اللغة الثقافة و الأنظمة العائلية و العشائرية، و أحيانا في النظام السياسي" [2] أي أن أركون يلح جاهدًا على ضرورة احتضان المجتمعات الإسلامية للحداثة العقلية و عدم تقبلها للحداثة المادية فقط و بالتالي يمكن القول أن المجتمعات العربية الإسلامية ذات نمط يمزج بين مظاهر الحداثة و القيم و المبادئ و العلاقات التقليدية.

و من خلال ما سبق نستنتج أن الحداثة الحقة هي المكافأة بين الجانب المادي و العقلي و هذا ما تحتاج إليه المجتمعات العربية الإسلامية.

// تحديث المجتمع الإسلامي:

من بين الإسهامات التي قام بها أركون في مجال الحداثة الذي لا يعرف الانقطاع هو ضرورة التمييز بين الحداثة و التحديث، حيث قال عن الأولى أنها موقف للروح أمام المناهج التي يستخدمها العقل للتوصل إلى معرفة للواقع، أما التحديث فهو مجرد إدخال للتقنية و المخترعات الأوربية الاستهلاكية" [3] بالإضافة إلى ذلك يتفق المؤرخون على أن تاريخ الشعوب الإسلامية في القرنيين الأخريين يحاول إدخال المجتمعات العربية

[1]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أكون – مرجع السابق ص 47.
[2]- مرجع نفسه – ص 47.
[3]- الزواوي بغورة – ميشال فوكو ، الفكر العربي المعاصر، محمد عابد ، محمد أركون ، فتحي التزيكي مطاع صفدي – دار الطليعة للطباعة و النشر – بيروت، (ط1) 2001 ط(2) 2007 – صص 83.84.

الإسلامية في تيار الحداثة، و لكنه يبقى مشروع غير مكتمل لأن هذه المجتمعات لازالت خاضعة للإرث التقليدي و هذا ما جاء به أركون " فالمجتمع نتيجة أزماته و فقره و همومه لم يعد يستطيع أن يفتح صدره للفكر الحر و النقدي، و إنما فقط للفكر الأصولي التقليدي الموروث أباً عن جد " ([1]).

و لهذا يقترح أركون مجموعة من الشروط و القيم التي تجعل من المجتمعات العربية الإسلامية مجتمعات حديثة فما هي تلك الشروط التي يراها أركون مناسبة لتحقيق ذلك؟

أولاً: التنظير للعلمانية:

إن الفكر العربي الحديث قد غرته مشكلة العلاقة بين الدين و الدولة التي لازالت يكتنفها الإبهام و الغموض و هذا ما أشار إليه الجابري بقوله إنه " ما من شعار من شعارات الفكر العربي الحديث كان – و لا يزال مدعاة للبس و سوء التفاهم كشعار العلمانية" [(2)]

كما يعتبر أركون أن العلمانية شرط أساسي لتحديث المجتمعات الإسلامية، فما هو المقصود بالعلمانية؟ و ما هو موقف أركون منها؟

1/ مفهوم العلمانية:

إن لفظة العلمانية إن مفهوم العلمانية لفظ حديث الاستعمال في اللغة العربية و هو ترجمة للكلمة الفرنسية laicileو الكلمة الانجليزية seculans و العلمانية أو الملائكة هي النظام الذي يبعد الكنائس عن ممارسة السلطة السياسية و عن التنظيم التعليمي العام، كما تعني عدمن توظيف الديني في تنظيم المجتمع و التربية و غيرها " () و هذا ما ش هد التاريخ الأوروبي خاصة في عصر النهضة أي تلك الاشتباكات و النزاعات القائمة بين رجال الدين و أهل العلم ، أما الفرنسيون بدورهم ذهبوا إلى "التمييز بين العلمنة laicite و العلمانية coicicismeفالعلمنة حياد و العلمانية موقف عدائي من الدين لمحق الدين" [3]

لقد ورد في المعجم النقدي لعلم الاجتماع مفهوم العلمنة إذ عندما نتحدث عن العلمنة كمعيار للحداثة نريد القول أن كل ايمان دوغمائي و بخاصة الديني قد اختفى من

[1]- محمد أركون – قضايا في نقد العقل الدني – ص172.
[2]- محمد عابد الجابري – الدين و الدولة تطبيق الشريعة – سلسلة الثقافات القومية (69)، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط (1) – 1996 – ص 108.
[3]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أكون – مرجع السابق ص 126.

مجتمعاتنا (....) ما تعنيه بالعلمانية ليس اذن وجود أو غياب أي أنها الفصل القائم بين الكنيسة (و كذلك الدولة) و من وجهة اخرى مؤسسات البحث العلمي و التعليم" ([1])و بالتالي ان العلمنة ليست راضية للدين و لاتشكل أي عداء اتجاهه بل يجب علينا أن نفهمها بشكل علمي و فكرى لا من شكل الايديولوجي، كما يمكن الاشارة إلى النقاش الذي دار حول مصدر هذا المصطلح فهناك من يرى أنه مشتق من كلمة علم و أخرى يرون أنه مشتق من كلمة عالم و هذا ما نجده عند الكثير من المفكرين أمثال الجابري و يوسف القرضاوي، إلا أن فؤاد زكريا يرى " أن الرأيين متكاملين و ليس متضادين ، لأن البحث في العلم ليس ببعيد عن الاهتمام بالعالم" . ([2]) فرغم تعدد التعريفات و الأراء حول مفهوم العلمنية سواء بفتح عينها أو كسر ها تبقى فكرة متعلقة بالمجتمعات الغربية سواءًا في المنشأ أو التوظيف.

إذا كان الجابري يعتقد أن" مسألة العلمانية في العالم العربي مسألة مزيفة (...) من الواجب استبعاد شعار العلمانية من قاموس الفكر العربي" ([3]) فان أركون يرى عكس ذلك، فالعلمانية في نظره " مفيدة جدًّا عندما نفهمها و نستطيع أن نمتثلها و نهضمها ونسيطر على تعاليمها و ما تتيح لنا أن نفعله " ([4]) إن هذا الموقف الأركوني قد أحدث ضجة كبيرة في الساحة الفكرية و سوف نقوم بالتطرق إليه في المبحث الموالي – و تبقي شرط أساسي و مبدأ أولي في تحقيق الحداثة بالاضافة إلى الشرطين المتمثلين في احترام حقوق الإنسان، الديمقراطية و المجتمع المدني.

ثانيا: احترام حقوق الانسان:

لقد طغى في العصور الوسطى الاستعباد الكلي للدلالات الحاملة لمعاني الحرية، العدل و الحق حيث كانت مجتمعات ذلك العصر تعيش أقصى مظاهر الاضطهاد و الخضوع التام للسلطة الدينية إلا أن جاء فلاسفة التنوير و أعطوا الاعتبار لتلك الحقوق المفقودة للسلطة الدينية عظيمة متمثلة في اعلان حقوق الإنسان و المواطن المقترع بواسطة الجمعية العامة الفرنسية حيث جاء هذا الإعلان ليكفل للمواطنين التمتع بالحرية بعد رفع التهم عنه ، و عدم إلقاء القبض عليهم دون محاكمتهم، كما نص هذا الاعلان كذلك على حق المواطنين بالحرية الفكرية و الدينية و الممارسة الاقتصادية المتمثلة في حق التمتع بالملكية الخاصة، و بعد سنة 1948، كما تقوم هذه المنظمة على حقين أساسين تتفرع عنهما بقية الحقوق الأخرى المتمثلة في حق الحرية و حق المساواة أن هذه المنظمة اعادت الاعتبار للانسان و حافظت على شرفه و كرامته.

---

[1]- مرجع نفسه صفحة نفسها

[2]-مرجع نفسه صفحة نفسها.

[3]- محمد عابد الجابري الدين و الدولة و تطبيق الشريعة – مرجع سابق ص 113.

[4]- فارح مسرحي الحداثة في فكر محمد أركون -مرجع سابق –ص 127.

إن المقصود بحق الانسان هو جملة المواد الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عن منظمة الأمم المتحدة و التي تتضمن مجموعة من الأفكار و التي تضمن الانسان القائمة على اعتبار الناس يولدون أ حراراً و متساوين، و كل أشكال الهيمنة و الاستغلال ناتجة عن المجتمع، لا عن طبيعة الأمور " ([1]) و بمعنى أخر أنها وحدة تنادي بالانسانية و رفع مظاهر الاستغلال

و البطش بكل أنواعه، كما يمكن الإشارة عن صدور الكثير من الإعلانات بعد ميثاق 1948 و المتمثلة في الميثاق الإفريقي لحقوق الانسان و الشعوب لسنة 1981 ، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الاسلام سنة 1981 ، ميثاق مشروع الميثاق العربي لحقوق الانسان 1986 ، اعلان القاهرة عن حقوق الانسان في الإسلام سنة 1990 ....الخ.

بعدما تعرفنا على السياق التاريخي لنشاة منظمة حقوق الانسان سنذهب الان الى موقف أركون من واقع هذه الحقوق و كيف ينظر لاحترامها ؟

لقد عرف واقع حقوق الانسان نوعا ما مشكلة في تطبيق قواعده و بنوده التي نص عليها و تكمن هذه المشكلة في استخدام الاقوياء لهذه الحقوق من أجل خدمة مصالحهم و أغراضهم و تحقيق أهدافهم بمختلفها و هذا ما ذهب إليه أركون بقوله " لقد تحولت هذه الأخيرة إلى مصطلح مؤدلج أكثر من اللزوم، بل مستهلك و فاقد لروحه ، فالغرب يرفعه كشعار ايديولوجي للضغط على الأخرين أكثر ما يتقيد به عندما يتعامل مع الاخرين" ([2]) فهو يرفض تماما كل أساليب القمع و الاستبداد و ينتقد انتهاكات الغرب لحقوق الانسان خاصة التي يمارسها اتجاه العالم الاسلامي معبرا في ذلك بقوله " ان العقل ليشعر بالعجز و الوعي بالذهول امام الاهانات التي لا تحمل و التي تصيب الشعب الفلسطيني و يشعر المرء بالشيء ذاته أمام المصائب و الويلات التي يتعرض لها الشعب العراقي، و أمام السجن الجماعي الذي يتعرض له الشعب الليبي، و أمام الجنون القاتل الذي يدمر الشعب الجزائري، و أمام الاحتقار الذي يتعرض له الشعب السوداني و الأفغاني، و أمام سجن الشعب الكردي، و أمام المحن التي يتعرض لها الشعب الأندنوسي، و أمام التلاعبات المفروضة على الشعب الايراني العظيم" ([3])، و تبقى هذه الأعمال دون شك " تحسب على الغرب و على ارادته في الهيمنة و التوسع على حساب الدول المستضعفة و لاجعال لحصرنتها . كانت حقوق الإنسان التي يقبع خلفها الغرب" ([4]).

إن وضعية حقوق الإنسان في المجتمعات الإسلامية تتصف نوعا ما من التعقيد كما هو الحال في المجتمعات الغربية تتصف نوعا من التعقيد كما هو الحال في المجتمعات الغربية

[1]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أركون – ص133.
[2]- محمد أركون – قضايا في نقد العقل الديني – مرجع سابق ص 160.
[3]- محمد أركون – الفكر الاصولي و استحالة التأصيل – مرجع سابق – ص 234.
[4]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أركون – مرجع سابق – ص 134.

فيقول " من المعلوم أن مبادئ الإخاء و التضامن و احترام حياة الأشخاص و أرزاقهم هي أشياء طالما تحدث عنها القران و كرر الحديث و كذلك فعل التراث الذي تلاه (ما ندعوه بالتراث الحي) و لكن هذه المبادئ تطبق الآن في المجتمعات الإسلامية بشكل مأساوي مرعب، وفي جو من الإرهاب المعمم على المستويين المحلي و الدولي(.....) إن الأمر يتعلق فعلا بالإرهاب بالمعنى الحرفي للكلمة "([1])

إذا كانت " المادة 19 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تنص و تحث على الحرية في الرأي و التعبير"

" فإن الحركات الاصولية المنتشرة في البلدان الإسلامية ، لإمتلاك لغة خاصة للحوار مع الثقافات لأخرى و الأمثلة على ذلك كثيرة و متنوعة لعل أهمها و احدثها إعدام محمود محمد طه في السودان سنة 1985 اغتيال فرج فودة سنة 1992م، محاولة اغتيال نجيب محفوظ اضافة إلى الارهاب الجماعي في مصر و الجزائر " [(2)] من أكثر عقد من الزمن.

إن حقوق الانسان و البلدان الاسلامية تمر بأزمات حادة، فهي معرضة للخطر و التهديد حيث أن القاضي يصدر حكما المعروف بحكم الردة أي القتل و القضاء على كل مرتد عن الإسلام، رغم أن القران الكريم جاء بنصوص متعددة ترفض هذا الحكم و تحث على تجنب كل الصراعات ت و النزاعات بقوله تعالى " لا إكراه في الدين"* "و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر" ** فالمسلمون عوض أن ينظروا للحرية الدينية حصل عكس ذلك.

يرى محمد أركون أن تحديث المجتمع الإسلامي و تحسين وضعية حقوق الإنسان في مجتمعنا يتم من خلال " تحاشي كل الأحكار البيولوجية المسبقة ، و من بينهما تلك التي نقول (....) بأن المسلم أفضل من غير المسلم، فهذا مزعم تيولوجي لا يثبت أمام الاستجاب و التفحص العلمي الحديث (....) فكل الناس متساوون أمام الله و التاريخ " ([3]) كما لا يمكن أن نخرج من التركيبات التيولوجية القروسيطية و الحساسية التي تؤيدها في النفوس، إلا بواسطة التوكيد على حقوق الإنسان بالمعنى الواسع و الحديث للكلمة" ([4]) و من هذا الصدد نفهم أن المجتمعات الاسلامية لا تدخل عالم الحداثة إلا من خلال احترامها الحقوق الانسان.

يرى محمد أركون أن تعزيز قيمة الانسان في البلدان الإسلامية يتحقق بفعل مفهوم الانسنة بقوله " لقد اقترحت مصطلح الانسنة (...) لكي أدعوا بالالحاح ضروري لحياء الموقف

[1]- محمد أركون – الفكر الأصولي و استحالة التأصيل – مرجع سابق – ص 136.
[2]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أركون – مرجع سابق – ص 136.
* سورة البقرة، الأية 29.
* * سورة الكهف الأية 29
[3]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أركون – مرجع سابق – ص 138
[4]- مرجع نفسه – ص 139.

الفلسفي في الفكر العربي خاصة و الفكر الاسلامي عامة، و كنت أعتقد و لا أزال بأنه لا سبيل إلى الاقتناء بمصير الانسان اعتناءًا شاملا نقديا، منيرًا، محررًا بدون تساؤل الفلسفي عن أفاق المعنى التي يقترحها العقل و يدافع عنها " ([1]) كما ينبغي " التأكيد على الاعتراف بالتعديل المذهبية و الثقافية و اللغوية موصفة من صفات الأساسية و التأسيسية للموقف الانساني " ([2]).

من خلال هذين النصين يتبين لنا أن مفهوم الأنسنة هو تأكيد و تثبيت لمفهوم العلمنة، لأن الأنسنة تهدف إلى تثقيف الإنسان المسلم و تغرس فيها مبادئ تقبل التقافية الأخرى و التبادل معناها اضافة إلى ذلك أن الأنسنة تحمل غايات أسمى ألا و هي الحفاظ على كرامة الإنسان و مراعاة حقوقه ، من أجل بناء نظام إنساني بعيد عن العنف و أساليب العنف و أساليب العنف و الهيمنة، و هذا يمكننا من تأسيس مجتمعات قويمة خالية من كل التطرفات و الانحارفات.

ثالثا: الديمقراطية و المجتمع المدني:

ان احترام حقوق الانسان أمر يرتبط بنظام الحكم و السلطة السياسية التي يقف عليها كل مجتمع كما أن المجتمعات الإسلامية بدورها تسعى إلى تجاوز عوائق التأخر التاريخي له و معالجة ثغرات ماضيها الذي يتم إلا بتعزيز القيم السياسية للحداثة، لأن المجتمعات العربية تشهد حياة اجتماعية مستقرة مسالمة و متحدة بفعل إدراكها اليقين لمفهوم الديمقراطية و مؤسسات المجتمع المدني و من هنا يطرح الاشكال :

- كيف يمكن للدول الاسلامية أن تحقق الارتقاء إلى جانب الدول الحديثة ؟
- و ما هي الأساليب المستعملة من أجل تعزيز القيم السياسية للحداثة في هذه الدولة؟

1) الديمقراطية:

من الجانب اللغوي يقصد بالديمقراطية أنها " كلمة يونانية الأصل و يقصد بها سلطة الشعب أو حكمه لنفسه بنفسه، إلا أن هذا المعنى في اعتقاد الدارسين ، ما تم بلوغه في الماضي و لن يتم في أي عصر من العصور " ([3]) و بصورة معاصرة فإن الديمقراطية تعني" بناء الحكم على الانتخاب الحر ، لاكتساب مشروعية الحكم، مع الفصل بين السلطات الثلاث التشربعية و التنفيذية و القضائية "([4]) إذن إن الديمقراطية تمنح الفرد حرية اختيار حاكمه و هكذا أصبح الفرد مشاركا فعالا في الحياة السياسية لمجتمعه .

[1]- مرجع نفسه – 139.
[2]- مرجع نفسه ، صفحة نفسها.
[3]- محمد عابد الجابري – الديمقراطية و حقوق الانسان، سلسلة الثقافة القومية (67) مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط2- ص 15.
[4]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أركون – مرجع سابق- ص 142.

إن الدول الاسلامية تسعى لتحقيق هذه الآلية (الديمقراطية) و لكن السعي من أجل الظفر بها يواجه جبهتين الأولى تضم الدولة المتسلطة و المستبدة القائمة على مختلف الانقلابات كالانقلاب العسكري من اجل الاستلاء على السلطة و الحكم و الانقلاب الفكري للسيطرة على العقل و الفكر، أما الجبهة الثانية تتمثل في التيارات الاسلامية التي تعمل على " تأويل التاريخ و التراث ليكون ناطق باسمها (.....) فتنشر فيهما على أنها القيم الحقة "([1])

أما الآن سنشير إلى موقف أركون حول مسألة الديمقراطية . لقد تواردت ألسنة كثيرة حول أن القرآن الذي كان سباقا للدعوة إلى الديمقراطية من خلال تشريعه لمبدأ الشورى و لكن أركون يرى بأن " هناك فرق كبيرا بين الديمقراطية بالمعنى الحديث للكلمة و بين الشورى ، فالشورى محصورة بفئة العليا من كبار المسلمين ، في حين أن الديمقراطية تشمل جميع البشر في المجتمع دون استثناء و بغض النظر عن أديانهم و مذاهبهم و أعراقهم و قبائلهم و عشائرهم ، و بالتالي فإن الشورى تظل سجينة الفضاء العقلي للقرون الوسطى، في حين أن الديمقراطية تنتمي إلى الفضاء العقلي للحداثة ، و لكن يمكن تطوير الشورى أو توسيعها لكي تشمل كل الشعب و عندئذ لا يعود هناك فرق بينها وبين الديمقراطية "([2])

كما أنه لا يجد أية مشكلة اتجاه أشكال الديمقراطية المتعددة بقوله " لا يمكن ضمان الحقوق الروحية و الأخلاقية و الثقافية للشخص البشري إلا بواسطة النظام الديمقراطي و دولة القانون ، سواءا اتخذت الشكل الملكي الدستوري أو الجمهوري للحكم ، لا يهم فهذا الشكل أو ذاك يختاره كل بلد بحسب حاجياته و طبيعته التاريخية"([3])

إذن إن تبني الديمقراطية أمر لابد منه عند بناء كل مجتمع ، فبمجرد التحلي بها تتخلص المجتمعات من مختلف المشاكل و الصراعات التي كانت عائقا في مواكبة الحداثة .

[1]- مرجع نفسه ص 144.
[2]- محمد أركون – قضايا في نقل العقل الديني – مرجع سابق ص 168.
[3]- محمد أركن – الفكر الأصولي و استحالة التأصيل – مرجع سابق- ص232.

و من بين الآليات المساهمة في تحديث المجتمعات الإسلامية المجتمع المدني ، و السؤال المطروح: ما المقصود بالمجتمع المدني ؟ و كيف يمكن للمجتمعات العربية الإسلامية أن تتبناه ؟.

2) المجتمع المدني:

لقد شاع في الأوساط الفكرية و السياسية خاصة بروز إشكالية هامة بين المجتمع المدني و الديمقراطية من حيث الأسبقية ، و في صدد هذا الموقف يتفق كل من الجابري و أركون على أسبقية الديمقراطية عن المجتمع المدني حيث قال الجابري " إن الديمقراطية سابقة عن كل القنوات و المؤسسات التي تمارس فيها بواسطته (.....) صحيح أن المؤسسات الديمقراطية إنما تتم و تتأتى عبر ما نسميه بمؤسسات المجتمع المدني، و لكن الشيء الذي يجب أن لا يغيب عن أذهاننا هو أن قيام هذه المؤسسات جزء من الديمقراطية نفسها" ([1]) أما أركون يبرر موقفها قائلا " إن التوصل إل هذه المؤسسات مشروط باكتساب الثقافة الديمقراطية و نشرها أكثر ما هو مشروط بالازدهار الاقتصاد الذي يبقى ورقة مهمة عندما يسير مع المشاركة الديمقراطية لكل الفاعلين الاجتماعيين" ([2]) ، كما يشير أركون كذلك إلى أهمية المجتمع المدني بقوله" إن أهم مكسب توصلت إليه أوربا الحديثة هو تشكيل المجتمعات المدنية التي استطاعت أن تتحرر قانونيا بشكل الكافي الذي يمكننا من أن تتصرف بصفتها شركاء فعالين في دولة الحق و القانون"([3])

إن المجتمع المدني هو جملة من المؤسسات بتنوعها كالاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية و السياسية المنعزلة عن مؤسسات الدولة فهي عبارة عن" أطر اجتماعية التي تنظم فاعليات البنيات الحديثة السياسية و الاقتصادية و الثقافية "([4]) .

إن بناء مجتمع مدني يشترط توفر دولة الحق و القانون و هذا ما انعدم اصلا في المجتمعات العربية الإسلامية الحديثة التي اتصفت مؤسساتها بالهشاشة ، و هذا ما دعى إليه

[1]- محمد عابد الجابري – الديمقراطية و حقوق الإنسان – مرجع سابق – ص ص – 133 ،132.
[2]- محمد أركون – الفكر الأصولي و استحالة التأصيل- مرجع سابق- ص 232.
[3]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أركون – مرجع سابق – ص 148.
[4]- محمد عابد الجابري – الديمقراطية و حقوق الإنسان – مرجع سابق – ص 118.

أركون بايحاد سبل كفيلة من أجل تكريس مؤسسات المجتمع المدني في الدول الإسلامية عن طريق " ضرورة تشكل رأي عام في هذه البلدان يحسب الحكام له حسابا " ([1]).

إن للمجتمع المدني أهمية بالغة جدا تكمن في فتح أفاق الممارسة الديمقراطية، لأن " من شروط نجاح النظام الديمقراطي ، العمل على بناء مؤسسات المجتمع المدني ، باعتبارها مؤسسات وسيطة بين الفرد و الدولة (.....) لأنها مؤسسات المراقبة و المحاسبة بل المشاركة في العملية السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية "([2]) أما بالنسبة لمؤسسات الدول العربية الإسلامية لا يخفى على أحد أمر هشاشة جمعياتها الثقافية و السياسية و مختلف النقابات المتفشية في أرجائها لأن " عصبيات القرابة لا تزال تضغط حتى يومنا هذا على التشكيل الحديث للنسيج الاجتماعي أو للروابط الاجتماعية، و لا تزال تحول دون تشكل المجتمع الدولي و دولة الحق و القانون و الشخص – الفرد – المواطن بصفتهم فاعلين متداخلين للمسار التاريخي الهادف إلى الحداثة الفكرية و الروحية و السياسية التي لا تنفصم " ([3])

إن الصعوبات التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية المتمثل في العجز ببلوغ هدف تحديث الأنظمة الاجتماعية و السياسية لها ينبغي بإحداث " انقلاب تاريخي لم يشهد عالمنا لا الفكري و لا السياسي و لا الاجتماعي و لا الاقتصادي له مثيل ، و لابد من نفس طويل و لابد من عمل متواصل و أيضا لابد من صبر أيوب (.....) فالديمقراطية في مجتمعاتنا العربية ليست قضية سهلة و ليست انتقالا من مرحلة إلى مرحلة بل هي ميلاد جديد و بالتأكيد عسير " ([4]) .

و في أخر المطاف يمكن القول أن تحقيق غاية بناء مجتمع مدني خاصية لا تنفرد بها المجتمعات الغربية فحسب ، بل إن للمجتمعات العربية الإسلامية الحق في ذلك و لكن عن طريق تجاوز الأفكار التقليدية المتعلقة بالقضايا السياسية ، و الانخراط في المبادئ التي تنص على الديمقراطية.

[1]- محمد أركون _ قضايا في نقد العقل الديني – مرجع سابق- ص246.
[2]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أركون – مرجع سابق – ص 149.
[3]- محمد أركون – الفكر الأصولي و استحالة التأصيل- مرجع سابق- ص 150..
[4]- محمد عابد الجابري – الديمقراطية و حقوق الإنسان – مرجع سابق – ص ص – 52-53.

أما الآن سنخرج بخلاصة شاملة لهذا الموضوع الشيق و تكمن في : لقد حان الأوان لإيقاض الضمير العربي الإسلامي لكي يشد العزم و يوثق الخطى من أجل بناء مجتمعات بناءة و مثمرة متحررة من القيود الفكرية التي لا طالما كانت سببا في عجز هذه المجتمعات بمزامنة الحداثة ، بالإضافة إلى لزوم بذل الجهود من أجل تحديث المجتمع العربي الإسلامي الذي لا يزال يعني من اضطرابات عسيرة قد أعاقت سلمه و أبعدته عن التحضر و الرقي.

المبحث الثالث: علمنة الفكر و المجتمع في فكر محمد أركون

إن العلمنة مسألة هامة تشغل الكثير من المسؤولين في مختلف قطاعات المجتمع فعندما يقبل هؤلاء إلى دراسة المشاكل المطروحة و تقديم الحلول لها ، فإنهم يلاحظون غياب هذا الإطار الفكري ، كما يمكن القول أن العلمنة لم تعاش حياتيا لدى المسليمين ، و بالأحرى لم تعرفها البيئات الإسلامية بشكل عام .

يعتبر مفكرنا محمد أركون أحد أجدر الدارسين للمجتمعات العربية الإسلامية ، حيث أعطى لمسألة العلمنة اهتماما كبيرا لأنه يسعى إلى تغيير جذري لأوضاع الأمة الإسلامية في مختلف المجالات ، و لآن سنذهب إلى تلك السبل التي من خلالها تتم علمن الفكر و المجتمع بالنسبة لأركون.

1- ما هي العلمنة في فكر محمد أركون ؟

لقد كان محمد أركون عضوا كاملا في التعليم العام الفرنسي و بالتالي قد عاش العلمنة و تلقى تعاليمها بقوله " إن و جودي في فرنسا قد علمني أشياء كثيرة ايجابية و سلبية عن تجربة العلمنة أو طريقة ممارستها و عيشها ، و قد انتهى بي الأمر أخيرا إلى تلك الممارسة و تلك القناعة الفكرية التي تقول بأن العلمنة هي: أولا و قبل كل شيء احد ى مكتسابات و فتوحات الروح البشرية "([1])و من هذا المنطلق تبين لنا أن العلمنة هي انفتاح فكري شاسع رافض لظلمات الانغلاق و محاربًا لها.

منذ ازمنة خلت و المجتمعات العربية الإسلامية تشهد صراعات و نزاعات قد أفشلت حسن سيرها نحو الأمام ، و يرجع هذا العجز إلى الخضوع إلى الفكر الدوغمائي المنغلق و التقيد بالأحكام التقليدية، فهي لم تعرف الاستقرار و لم تتمتع بالحكمة و الموعظة في تسير مختلف شؤون الأمة خاصة الفكرية السياسية ، و يكمل موقف أركون من هذا المنعرج في اعتباره بأن العلمنة " هي مجرد تفريق بين الشؤون الدينية و الشؤون الزمنية (السياسية) بقوله إن تفريق كهذا موجود عمليا في كل المجتمعات عندما ينكر وجوده و يحجب بواسطة

[1]-محمد أركون - العلمنة و الدين – الإسلام - المسيحية – الغرب – ترجمة هاشم صالح – دار الساقي – لبنان – ط (2) – 1996.- ص 09.

المفردات الدينية "([1]) و خير دليل على ذلك رفضه تماما للفكرة القائلة بأن الإسلام دين و دولة أو دين و دنيا " لأن الدولة في الإسلام و المسيحية ظاهرة دنيوية قبل أن تكون دينية و انما استعانت برجال الدين لتأصيل مشروعيتها " ([2])

إن أركون يرفض كل ما يسمى بالعلمانية الايديولوجية التي عرفها الغرب خلال القرن التاسع عشر و التي طبقها كمال أتاتورك في تركيا " لأن تجربة أتاتورك رغم تثمينه لها جعلت تركيا تدخل عصر الحداثة ، و لكن أتاتورك في نظره كان محكوما بنمط معين من الإسلام أو هو إسلام القرن19 و بنمط معين من العلمانية ذات المنزع الإيديولوجي و ليست العلمنة ذات المنزع العلمي و الفكري "([3]) و يمكن القول أن النقد الأركوني لنمط العلمنة القائم على الجانب الايديولوجي له تبرير قويم لأن في نظره العقيدة الأيديولوجية تكبح التفكير و تحد من حريته .

إذن بعد تبيان النقد الأركوني للنمطين السابقين للعلمنة يتضح لنا أنه يرى العلمنة من المنظور الأنتروبولوجي ، لأن الإنسان من الناحية الأنتروبولوجية يمتلك دوافع و حاجات تسير في اتجاهين متلازمين و هما أولا " مرتبة الرغبة linstance du désir مع كل القوى الملحق بها ، ثانيا : الحاح الفهم و التعقل léxrigence de l’intelligibi هذا الالحاح – الحاجة الكامن في أعمق أعماق الانسان (....) لكن حدثا تاريخيا أن إلحاح الفهم هذا كان يتعرض للمقاومة و حرف دربه الصحيح (.....) لقد حدثت عمليات تحريف في الماضي ، تحريف الواقع و تزويرا له إلى حد أن الإنسان اضطر للنضال و الكفاح من أجل اكتساب حقه العميق في المعرفة و الفهم ضمن هذا الخط (.....) يندرج تاريخ العلمنة بالضبط"([4])

إذن من خلال هذا الطرح نستنتج أن العلمنة في نظر أركون تتعلق بارادة الفهم و المعرفة و هي كفاح من أجل تحرير هذه الإرادة و هذا ما صرح به قائلا " تؤخذ العلمنة كمصدر للحرية الفكرية و كفضاء تنتشر فيه هذه الحرية من أجل افتتاح نظرية جديدة في ممارسة

[1]- محمد أركون – الفكر الإسلامي قراءة علمية – مرجع سابق – ص 108.
[2]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أركون – مرجع سابق – ص 127.
[3]- الزواوي بغورة – ميشال فوكو في الفكر العربي المعاصر- مرجع سابق –ص 86.
[4]- محمد أركون – تاريخية الفكر العربي الاسلامي – ص293.

السيادة العليا و المشروعية "([1]) و قال عنها سفي موضع آخر " أن العلمنة كما نفهمها تركز في مجابهة السلطات الدينية التي تخنق حرية التفكير في الإنسان ووسائل تحقيق هذه الحرية (.....) أنها تركز فقط في الإلحاح على حاجة الفهم و النقد داخل توتر عام للإنسان "([2]) .

بعدما تطرقنا إلى تحديد مفهوم العلمنة عند محمد أركون نستخلص أنه يعتقد بضرورة تنظير العلمنة و وجودها في المجتمعات العربية الإسلامية ، و سبل من اجل ايجاد العلمنة في تلك المجتمعات يستوجب تفحص المشاكل و أزمات التي تعانيها هذه المجتمعات و العمل على اعطاء الحلول لها بازاحة الغموض الذي يكتنف العلاقات القائمة بين مختلف المجالات في هذه المجتمعات كالمجالات السياسية ، العلمية و الدينية .

إن العمل على تحقيق العلمانية في المجتمعات العربية الإسلامية أمرا لابد منه لأنه يقوم " بسحب البساط من تحت أقدام الحركات الأصولية و التمييز بين المستوى الروحي و المتعالي للدين و بين المستوى الإيديولوجي السائد حاليا (.....) و هكذا تنطلي الحيلة على الناس و يحول الدين إلى نظام إيديولوجي هدفه الوصول إلى السلطة أو تحقيق مزيد من السلطة "([3]) فالبشر منذ أمد بعيد في صراعات دائمة من أجل تحقيق مصالحهم الشخصية، ولكن هذا الأمر مؤسف لأنه يمس بنزاهة الدين المتعالية.

إن المجتمعات الغربية تتميز بالقوة الحداثية في كافة مجالات الحياة، فهي تحتل الصدارة الحضارية في كافة الميادين ، فبالتالي يجب على المجتمعات العربية الإسلامية أن تحدث تغييرا في أعماقها لكي تستطيع اللحاق بركب الحضارة العالمية و إلا سوف تهمش تماما ، و عليه فإن المسلمون يحملون على أكتافهم مهمة " أن يكونوا مستقلين تنويريين فيفصلون بين الذروة الدينية و الذروة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية على غرار ما فعل الفلاسفة الأوربيون في القرن السابع عشر و القرن الثامن عشر، كما ينبغي تحقيق الاستقلالية للذروة الدينية و عدم الخلط بينها و بين بقية الذرى من الآن فصاعدا فهذا أفضل

[1]- محمد أركون – الفكر الاسلامي قراءة علمية – مرجع سابق – ص 183.
[2] -محمد أركون – قضايا في نقد العقل الديني - مرجع سابق – ص 183.
[3]- فارح مسرحي – الحداثة في فكر محمد أركون – مرجع سابق – ص129.

للدين و السياسة و للجميع " ([1]) إن هذا الفصل البارز " بين السياسة و الدين لا يعني القضاء على الدين كما توهم بعضهم و إنما يعني احترام الدين و عدم زجه في كل شاردة و واردة كما يفعل الأصوليون القروسطيون ، و هذا التمايز الذي حرر أوربا من أثقال الماضي و قيوده و جعلها تنطلق و تفتح العالم ، ولكن هذا التمايز لن يحصل إلا بعد حصول معارك فكرية و سياسية بل حتى عسكرية عنيفة كما حصل في أوربا ذاتها، فليس من السهل أن يحصل هذا الطلاق التاريخي العسير " ([2]).

إننا لن نفهم حقيقة المشاكل و المصاعب التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية إلا بحضور بإجراء دراسة علمية دقيقة نظرا لتداخل هذه المشاكل فيما بينها و لتعقدها الشديد.

إن باحثا أجنبيا لا يستطيع تحليل هذه المشاكل و الكشف عن العوامل المؤدية لها و السبب أنه ينتمي إلى مجتمع آخر و لتاريخ آخر، لذا يجب على المثقف و الباحث العربي المسلم أن يلتمس هذه المسؤولية و يتكفل بدراسة مجتمعه .

إن الدولة العلمانية " تشتق مبادئها من لا تنفصم بالنشاط الإنساني الاجتماعي المادي المباشر و ليس من قيم مفارقة، إنها أداة لتطبيق الحق الإنساني و ليس تطبيق الحق الإلهي "([3])

لقد تمت معالجة العلمانية في الفكر السياسي العربي بضرورة فصل الدين عن الدولة في الخطاب العربي الحديث و المعاصر، و من بين الشخصيات الفكرية و التنويرية التي سعت لتحقيق ذلك المراد نذكر : بطرس البستاني * - فرح أنطوان ** - شملي شميل - سلامة موسى **** .

يستعيد أركون مفهوم العلمانية و هو متحرر و مستقل قن كل الخلفيات سواء دينية أو سياسية أو إيديولوجية، متأملا في الأفاق التي سيفتحا متوقفا عن نجاحاته و انزلاقاته كما يسعى إلى تفكيك هذا المفهوم و تحليله و نقده ثم يعيد بناءه مع أخذه بعين الاعتبار

[1]- محمد أركون – قضايا في نقد العقل الديني - مرجع سابق – ص 115.
[2]- مرجع نفسه - صفحة نفسها .
[3]- مخبر الدراسات الفلسفية – قراءات في مشروع محمد أركون – اعمال ندوة – ط (1) – 1432 -2011- ص 94.

الملابسات التاريخية و الصراعات الدينية التي أحاطت بهذا المفهوم ، لذلك يجب استخدام جملة من المناهج و الأدوات المعرفية و الفلسفية لضبط هذا المفهوم .

يذهب أركون إلى التمييز بين العلمانية و العلمانوية بقوله " إن العلمانية ليست رئاسة أو سلطة تعليمية ناظمة حيال الفكر يفترض فيها أن تكون بديلا عن السلطات أو الماجستيريات (الرئاسة التعليمية) القديمة .... و لكن هذه العلمانوية يجب فضحها بقوة العلمانية كما نفهمها و نقصدها إنما تعارض فقط هذه الرئاسة التعليمية التي تخنق في الإنسان حرية الفكر و وسائل ممارسة هذه الحرية([1]) أي أن العلمانية تحث على حرية الإنسان في التفكير فهي متحرر من العقيدة الإيديولوجية التي هي في صراعات دائمة منذ القدم حول السلطة .

إن أركون يخلص إلى علمانية إيجابية تسمح للإنسان من دراسة الظاهرة الدينية و التعمق فيها باعتبار الدين معرفة متحررة من الإكراهات الدينية و السياسية و الإيديولوجية و المشكلة الكبرى تكمن في كيفية ادراكنا للعالم و الظواهر، إذن لا تقتصر المشكلة بمسألة الفهم فقط، حيث يعتبرها أركون مسؤولية كبيرة و جد خطيرة لأن في نظره أن العرب و المسلمون لا يزالون بعيدين عن تحقيق ذلك المطلب (العلمنة)، حيث أن الغرب قد سلك أشواطا عديدة لتطوير الأعمال النقدية الخاصة بالظاهرة الدينية و المسيحية خصوصا ، أما الإسلام لازال بعيدا عن هذا الأمر ، فعندما تطرح مسألة العلمانية و الإسلام في الغرب يسارع المستشرقون في الإجابة قائلين أن الإسلام لا يميز بين ما هو ديني و ما هو سياسي، إلا أن أركون لا يتهاون في " الرد على هذه المغالطات و يتهم الاستشراق بالنفاق و الانحياز الحضاري و عدم اتصافهم بالأمانة العلمية حيث لا يمارسون نفس المناهج ، و نفس المفاهيم عندما يتعلق الأمر بالإسلام و المجتمعات الإسلامية "([2])

* - بطرس البستاني: أديب وموسوعي ومربي ومؤرخ دخل المدارس الوطنية وألف أول موسوعة عربية سماها دائرة المعارف.
**- فرح أنطوان : ن أعلام النهضة العلمانيّة العربية. هاجر من طرابلس لبنان إلى القاهرة عام 1897، اشتهر بدراساته عن حياة وفلسفة الفيلسوف العقلاني ابن رشد، متأثرا في ذلك بأعمال اللغوي والمؤرخ الفرنسي أرنست رينان. فرح بن أنطون بن الياس أنطون، صحافي وروائي ومسرحي وكاتب سياسي
****- سلامة موسى: هو رائد الاشتراكية المصرية ومن أول المروّجين لأفكارها. ولد في قرية بهنباي وهي تبعُدُ سبعةُ كيلو متراتٌ عن الزقازيق لأبوين قبطيين. عرف عنه اهتمامه الواسع بالثقافة، واقتناعه الراسخ بالفكر كضامن.

[1]- مخبر الدراسات الفلسفية – قراءات في مشروع محمد أركون – أعمال ندوة - مرجع سابق – ص 102.
[2]- مخبر الدراسات الفلسفية_ قراءات في مشروع محمد اركون_ اعمال ندوة _ مرجع سابق _ص 104 .

وقبل أن يذهب أركون إلى نقد هذا الموقف فإنه" يلجأ إلى الدراسة المقارنة للأديان (اليهودية – المسيحية – الإسلام) لينتهي إلى نتيجة واحدة و هي أن جميع الأديان واحدة تشتغل بطريقة واحدة ، و ان مستويات الخلط و الفصل موجودة في كل الأديان و إن بدرجات مختلفة "([1])

2) **العوامل المشكلة لنشوء العلمنة :** هناك جملة من العوامل تسهم في نشوء العلمنة و تتمثل في ما يلي :

2-1/ ظهور عقيدة الإصلاح الديني (البروتستانتية) و تبلورها : أي اصلاح الكنيسة باعتبارها مؤسسة روحية و دينية .

2-2/ نشوء الفلسفة العقلانية التي مجدت العقل و أكسبته الأولوية بدل الايمان .

2-3/ بروز الدولة القومية المنادية لمفاهيم الحكم المدني ، المساواة ، العدل، الحرية ، المواطنة، العدل ..... الخ بالاضافة إلى الثورة الفرنسية و الاعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي كان بمثابة حصيلة تهدف إلى تطبيق القوانين و الأخلاق على كافة البشر دون أي تمييز عرقي أو ديني ، و من خلال هذه العوامل نستخلص أن العلمنة تحرص دائما على رفع الصراعات العنيفة من خلال مواجهة الكنيسة و الإقرار بوجود فرق شاسع بين المجال السياسي و المجال الديني، بل أعادت الاعتبار للإنسان بجعله " محور للكون و مقياس للقيم و ذلك من خلال تحويله إلى فرد متميز حر، في هذا السياق قدمت العلمانية نفسها س بديلا عن كل هيمنة دينية "([2]) .

إن أركون لا يخفي مطلقا مدى اعجابه بهذه العلمنة التي كانت بمثابة الفضل الكبير في تطور المجتمعات الأوربية و لكنه في نفس الوقت لا يبدي اعجابه بنتائجه النهائية التي تقف

---

[1]- مرجع نفسه _صفحة نفسها

[2]- مخبر الدراسات الفلسفية – قراءات في مشروع محمد أركون – أعمال ندوة - مرجع سابق – ص 100.

* - مدرسة فرانكفورت: هي مدرسة للنظرية الاجتماعية والفلسفة النقدية مرتبطة بمعهد الأبحاث الاجتماعية في جامعة غوته في مدينة فرانكفورت. ضمّت مدرسة فرانكفورت التي تأسست في جمهورية فايمار (1918-1933) خلال فترة ما بين الحربين العالميتين (1918-1939) المفكرين والأكاديميين والمنشقين السياسيين غير المتفقين مع الأنظمة الاقتصادية-الاجتماعية المعاصرة (الرأسمالية، الفاشية، الشيوعية في ثلاثينيات القرن العشرين.

**- تجربة المدينة : و يقصد بها العمل السياسي و التبشيري للنبي محمد في المدينة، عندما أسس نوعا من الدولة النموذجية التي أصبحت قدوة لكل الأجيال(انظر هاشم صالح – محمد أركون الفكر الإسلامي نقد و اجتهاد – مرجع سابق – ص215.

على مفهوم ما جاءت به فلسفة أنوار المتمثل في استبداد العقل و سيطرته الذي يحل محل الدين، لأن العقل الأنواري جعل من الدين مجرد بقايا خرافات و أساطير تقليدية لا تؤخذ في الحسبان و هذا ما عبرت عنه الفلسفة الوضعية لأوغست كونت و لهذا ذهب أركون إلى بناء نقد فلسفي قائما بذاته متشبع بمختلف الأدوات المنهجية المعاصرة لنقد العقل و العقلانية بدءًا من نيتشه ثم مدرسة فرانكفورت*، مرورا بميشال فوكو ، وانتهاءا بهابرماس.

3. المساهمات الفكرية لأركون بخصوص مسألة العلمنة : و يمكن ايجازها في ما يلي:

1/ العلمنة متضمنة و موجودة في القرآن الكريم و في تجربة المدينة **

2/ إن الدولة الأموية و العباسية دولة علمانية و ليست دينية

3/ قيام القوة العسكرية بدور مبكر في نظام الخلافة و نظام السلطة، و في مختلف أشكال الحكم المدعوة بالإسلامية.

4/ محاولة عقلنة العلمنة الممارسة في المجتمعات الإسلامية مع تطوير الموقف العلماني.

5/ اعتبار أشكال الاسلام المدعوة بالأرثوذوكسية كالإتجاه السني ، الشيعي، الخارجي، بأنها لا تعد كونها انتقادات و توظيفات ايديولوجية لمجموعة العقائد و الأفكار.

6/ وجوب إعادة تفحص مكانة العامل الديني و التقديسي و الوعي و دراستها عن طريق النظريات الجزئية للمعرفة .

7/ اعادة اعتبار الأنظمة السياسية التي ظهرت في المجتمعات العربية الإسلامية بعدما تحررت من الاستعمار هي أنظمة علمانية و تسيطر عليها النماذج الغربية في الإدارة و الأحكام.

8/ باعتبار العلمنة مصدر للحرية الفكرية إذن يجب كذلك الشروع فيها داخل المجتمعات الأوربية المعاصرة .

إذن كانت هذه تلك الإسهامات التي قام بها أركون بخصوص مسألة العلمنة و من خلال ما سبق ذكره نستنتج أن مفكرنا أركون يدعوا إلى تبني العلمانية أي علمنة منفتحة التي تحمل بين أسطرها مختلف الأبعاد الإنسانية بما فيها الدينية، دون حلول أي هيمنة من بعد إلى بعد آخر ، إنها علمنة رافضة للنمط الإيديولوجي النضالي الذي " يختزل الدين إلى مجرد بقية أو بقايا من التاريخ التحرري و يزيف رهانات الجدلية الكائنة بين القوة و المعنى"([1])

[1]- محمد أركون – القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني – مرجع سابق – ص59.

خلاصة الفصل الثالث:

بعد التعرف على الجوانب التي اهتم بها محمد أركون حول الدراسات الإسلامية كقراءته للتراث العربي الإسلامي، السعي إلى دخول عالم الحداثة و تحديث المجتمعات الإسلامية بالإضافة إلى علمنة الفكر و المجتمع: نستنتج من كل هذا أنه مفكر يحمل في ذاته حب المعرفة و التغيير، بل يمكن القول أنه تألم و تأسف على التأخر التاريخي للأمة العربية الإسلامية و بعدها عن أفاق الإنتاج الفكري و الرقي في مختلف المجالات.

الفهرس

المحتويات	الصفحة
اهداء شكر خطة بحث	
مقدمة	أ
المدخل المنهجي	ج
تمهيد الفصل الأول: مصادر وجذور فكر أركون المبحث الأول : سيرة ذاتية المبحث الثاني: أركون بين الاستشراق ومنهجية علوم الإنسان والمجتمع خلاصة	 13 15 18
تمهيد الفصل الثاني: معالـــم مشروع أركــون الفكـــري المبحث الأول: الإسلاميـــات المطبقـــــة 1- مفهوم الاسلاميات التطبيقية 2- موضوع الاسلاميات التطبيقية 3- مهام الاسلاميات التطبيقية 4- عوائق الاسلاميات التطبيقية المبحث الثاني: المقاربات المنهجيـــة عنـــد أركون 1- المقاربة السيميائية الألسنية 2- المقاربة التاريخية 3- المقاربة الأنتروبولوجية 4- المقاربة السيولوجية خلاصة الفصل	 26 26 26 26 28 29 29 30 31 31 32
تمهيد الفصل الثالث : أركون والتــراث المبحث الأول: مـــا هو التـــراث 1- في اللغة 2- في الاصطلاح 3- مراحل تشكل التراث	 39 39 39 40 44

- مرحلة التأسيس وتثبيت الأشكال الكلاسيكية للتراث	44
- التراث والتراثيات في المجال الإسلامي	46
- التراث السني الكامل أو السنة الاسلامية	47
المبحث الثاني: الحداثـــة والتحديث	49
1) الحداثة	49
مفهوم الحداثة	49
أ) لغة	49
ب)اصطلاحا	49
1- مفهوم الحداثة في فكر محمد أركون	52
2- السياق التاريخي لمفهوم الحداثة الغربية	53
أ) الملامح الأساسية لعصر النهضة والاصلاح الديني	53
ب)الملاح الأساسية لعصر التنوير	55
3- المقومات الفلسفية للحداثة	57
4- مستويات الحداثة وأنماطها	59
- مستويات الحداثة	59
- أنماط الحداثة	60
2) تحديث المجتمع الاسلامي	61
أ) التنظير للعلمانية	61
ب) احترام حقوق الانسان	63
ت)الديمقراطية والمجتمع المدني	65
- الديمقراطية	66
- المجتمع المدني	67
المبحث الثالث: علمنة الفكـــر والمجتمع في فكــر أركون	70
1- ماهي العلمنة في فكر محمد أركون	70
2- العوامل المشكلة لنشوء العلمنة	75
3- المساهمات الفكرية لأركون بخصوص مسألة العلمنة	76
خلاصة الفصل	
خاتمة	80
قائمة المصادر والمراجع	84
الفهرس	89

الخاتمة

بناء على ما تم عرضه في سياق هذا البحث نستخلص ان مشروع محمد اركون هو مشروع نقدي جريء ومتميز قد احدث ثورة فكرية حادة ازاحت الغموض و الابهام لمختلف القضايا و الاشكاليات التي شغلت الفكر العربي .

إن لكل مفكر عوامل تجعله ينتهج نمط فكري معين طيلة مشوار عمله ، اذن لقد كانت لمحمد اركون جملة من العوامل التي دفعته الى وضع الاطروحة الازمة من اجل بناء مشروعه الفكري وهي نوعان العوامل الذاتية وتكمن في :

- التهميش والرفض القاسي الذي تلقته فئته الاجتماعية (الأمازيغية) من طرف كل من الجزائريين والفرنسيين لذلك سعى إلى زرع مبادئ التعايش مع الغير والأخذ عن معارفهم

-أسفه الشديد على الأوضاع المزرية التي تعانيها المجتمعات العربية الإسلامية في كافة مجالات الحياة لذلك عمد إلى ايجاد سبل كفيلة من أجل مصالحة ثغرات الأمة العربية الإسلامية أما العوامل الموضوعية وتتمثل في :

- الصفات التي ينسبها الغرب على الفكر العربي بأنه فكر عقيم لا ينتج ولا يبدع

- غرور الفكر الغربي بأنه الوحيد و الاجدر ببلوغ معالم النهضة والرقي دون سواه من الأمم

بعد التعرف على تلك العوامل السابق ذكرها نخرج بحوصلة شاملة لأفاق مشروع محمد اركون من خلال هذا العمل كالآتي :

- لا حدود للمعرفة بل يجب ان تتحلى فينا مبدأ احتضان الغير والخوض في عالم المعرفة الشاسع من اجل رفع غطاء الجهل عن البشرية جمعاء ويظهر هذا الامر من خلال احتكاكه بالاستشراف ومناهج علوم الانسان والمجتمع .

- مجيء محمد اركون بقراءة نقدية معاصرة للتراث العربي الاسلامي ويتجلى هذا الامر من خلال المقاربات المنهجية التي وضعها.

- مساعي محمد اركون للقضاء على الفكر التقليدي المنغلق وتخليص الامة العربية الاسلامية من قيوده .

- اجتهاد محمد اركون من اجل ادخال الامة العربية الاسلامية ضمن إطار الحداثة والتحديث مطبقا في ذلك مجموعة من الاطر لتحقيق ذلك المراد.

- تشجيع محمد اركون على تبني العلمنة في المجتمعات العربية الاسلامية من اجل ضمان تأشيرة التحليق في فضاء النهضة والحداثة .

- كانت هذه النقاط بمثابة الاستنتاجات المستوحاة من المشروع الأركوني، اما الان سننتقل الى الاجابة عن الاشكال الذي دار حوله الكثير من النقاشات و المتمثل في ماهي الاسلاميات المطبقة ؟

إن الاسلاميات المطبقة مشروع بديل ومتجاوز للإسلاميات الكلاسيكية (الاستشراق) جاء به محمد أركون حيث يهدف إلى إعادة قراءة التراث العربي الإسلامي قراءة نقدية، لأن أركون قد لاحظ بروز ضعف وهوان في قراءة التراث العربي الإسلامي لذلك جاء بهذه القراءة المعاصرة لمعالجة ذلك النقص الذي تعرض له ذلك التراث.

إن للاسلاميات المطبقة روافد فكرية كمناهج علوم الإنسان والمجتمع ونذكر البعض منها:

- **المنهجية التاريخية:** لقد جاءت هذه المنهجية من أجل تحديد التواريخ والتأكد من مادية الأحداث حيث اكتشفت على يد كل من لوسيان فيقر و المستشرق الأمريكي دافيد باوريس

- **المنهجية الألسنية**: لقد تطورت على يد كل من ديسوسور و جاكيبسون بنيفينست كما تحتوي على تفرعات كثيرة منها علم السيميائيات علم الدلالات و الرموز...الخ.

- **المنهجية الأنتروبولوجية:** هي دراسة المجتمعات من خلال ما تحمله من انتماءات كالأعراق العادات التقاليد و الأعراف ... الخ.

أما الآن سننتقل إلى رافد آخر للإسلاميات التطبيقية وهو نقد الاستشراق من طرف محمد أركون لأن في نظره هذا العلم مشبع بالطابع السياسي العنيف متجاوزا في ذلك المآسي العويصة والأزمات الحادة التي تعيشها المجتمعات العربية الإسلامية وبمعنى آخر إن الاستشراق لم يؤدي واجبه على أكمل وجه لذلك وجب بوضع نقد له.

أما الآن يمكن القول بأن الفكر العربي بعهديه الحديث والمعاصر شغله الشاغل الواقع المرير الذي تعيشه الأمة العربية الإسلامية، وهذا ما دفع الكثير من المفكرين إلى استلام مهام معالجة اشكاليات هذه الأمة واستبعاد كل ما يخل بتوازنها، إن هذه المقاصد الجلية يحملها كل مشروع فكري لعل وعسى ان يبزغ فجر الحضارة العربية الاسلامية من جديد وتسترجع هذه الأمة زمام أمورها .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم :

1. محمد أركون- - تاريخية الفكر العربي الإسلامي -دار الإنهاء القومي-لبنان- ط (2) 1992.
2. محمد أركون- العلمنة و الدين الاسلام-الدين- المسيحية-الغرب- ترجمة: هاشم صالح- دار الساقي بيروت. ط (3) 1996.
3. محمد أركون- الفكر الإسلامي قراءة علمية - ترهاشم صالح - دار الانهاء القومي- بيروت-الدار البيضاء-ط(2) 1996
4. محمد أركون الفكر الأصولي واستحالة التأصل تر: هاشم صالح, دار الساقي-بيروت ط(1) 1991
5. محمد أركون- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني –تر: هاشم صالح-دار الطليعة-بيروت-لبنان- ط (2) 2005
6. محمد أركون- النزعة الإنسانية في الفكر العربي-تر: هاشم صالح-دار الساقي-بيروت-لبنان-ط(1) 1997.
7. محمد أركون- أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ من يفصل التفرقة إلى فصل المقال- تر: هاشم صالح-دار الساقي-لبنان .ط(3) 2003.
8. محمد أركون، المفكر و الباحث -الحلقة النقاشية-عبد الإله بلقريز -مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت-لبنان- ط (1) 2011.
9. محمد أركون-الفكر الأصولي الاسلامي نقد و اجتهاد صالح- المؤسسة الوطنية للكتاب-د (ط) 1993.
10. محمد أركون-قضايا في نقد الحلال الديني (كيف نفهم الاسلام اليوم)-تر: هاشم صالح- دار الطليعة- د(ط) -1977
11. محمد أركون-نافذة على الاسلام- صباح جهيم-دار الطليعة للنشر -بيروت - ط(1)- 1996

12.ميشال فوكو-حفريات المعرفة-المركز الثقافي العربي-بيروت-لبنان- ط (2) منقحة 1987.

المراجع:

13. حسين محمد سليمان – التراث العربي الإسلامي – دراسة تاريخية مقارنة – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر- د (ط) – 1998.
14. رون هالبير – العقل الإسلامي أمام عصر الأنظار في الغرب – الجهود الفلسفية لمحمد أركون – ترجمة جمال شحيد – الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق – ط (1) – 2011.
15. الزواوي بغورة – ميشال فوكو – في الفكر العربي المعاصر – دار الطليعة – بيروت – ط (1) – 2011.
16. عبد المجيد خليقي – قراءة النص الديني عند محمد أركون – منتدى المعارف – بيروت ط (1) -2011 .
17. علي أبطاش – مفهوم التراث في الخطاب العربي المعاصر- محمد أركون نموذجا – مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث- د (ط) – 2015.
18. علي رحومة سحبون – إشكالية التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر – توزيع منشأة المعارف – الاسكندرية – د (ط) – 2007.
19. فارح مسرحي – الحداثة في الفكر محمد أركون – الدار العربية للعلوم – ناشرون – لبنان- ط (1) – 2006..
20. قراءات في مشروع محمد أركون – أعمال ندوة – مخبر الدراسات الفلسفية – ط (1)– 1432 – 2011.
21. كمال عبد اللطيف – أسئلة الحداثة في الفكر العربي – من إدراك الفارق إلى وعي الذات – الشبكة العربية للأبحاث – بيروت – ط (1) – 2009.
22. محمد سبيلا – الحداثة وما بعد الحداثة – دار توبقال – الدار البيضاء - المغرب – ط (1) – 2000.
23. محمد سبيلا – عبد السلام بن عبد العالي – الحداثة – دفاتر فلسفية – دار التوبقال – المغرب – ط (1) – 1996.

24. محمد عابد الجابري – التراث والحداثة – دراسات ومناقشات – مركز الدراسات الوحدة العربية – بيروت- لبنان – ط (1) – يوليو 1991.
25. محمد عابد الجابري – الديمقراطية وحقوق الانسان – سلسة الثقافة القومية (67) - مركز الدراسات الوحدة العربية – بيروت – ط (2)– 1997.
26. محمد عابد الجابري – الدين والدولة في تطبيق الشريعة – سلسلة النقاشات القومية (69) – مركز الدراسات الوحدة العربية – بيروت – ط (1) – 1996.
27. ياسين أحمد طه نور– اعداء الحداثة _ دار الوعي – السعودية – ط (1) – 1434.
28. نايلة أبي نادر – التراث والمنهج بين اركون والجابري – الشبكة العربية للأبحاث – بيروت – ط (1) – 2008.

المعاجم والموسوعات :

1. ابن منظور – لسان العرب – مج2- دار بيروت للطباعة والنشر – لبنان – 1955.
2. أندري لالاند – موسوعة لالاند الفلسفية – مج2 – منشورات عويدات – بيروت – باريس- ط (2) – 2001.
3. م. روزنتال – ب. بودين – الموسوعة الفلسفية – ترجمة سمير كرم – دار الطليعة بيروت –ط (5) – 1985.
4. الموسوعة الفلسفية العربية – معهد الانماء القومي – بيروت – ط (1)– 1986.

المذكرات:

1. كيحيل مصطفى – الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون – بإشراف إسماعيل زروخي أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في الفلسفة - جامعة منشوري قسنطينة – كلية العلوم الانسانية الاجتماعية – السنة الجامعية 2007-2008.